الشيخ جعفر النقدي



حياة السيدة زينب

بنت الإمام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)



منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

حياة السيدة زينب

بنت الإمام

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

حياة السيدة زينب

بنت الإمام

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

تأليف

العلامة المحقق الشيخ

جعفر النقدي

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الاولى المحققة

١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة.
ملك الاعلمي ـ ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ ـ ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حبانا بمودة أهل بيت نبيه المختار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي وآله الأطهار، ما دجا ليل وأضاء نهار.

وبعد: فإن من أظهر موارد التعظيم لشعائر الله تعالى هو تعظيم من أمر عباده بمودتهم وطلب من أوليائه الإنحياز إلى حوزتهم، وهم نبيه الأمين وأهل بيته الغر الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، وإن خير ما يعظم به هؤلاء الكرام، هو بث مناقبهم، ونشر فضائلهم بين الخاص والعام، ولذلك ألف العلماء الأبرار، وحفظة الأخبار في كل قرن من القرون الإسلامية المؤلفات المعتبرة، والمصنفات المطولة والمختصرة في تواريخهم وسيرهم وأحوالهم، عليهم الصلاة والسلام.

ولما لم أجد مؤلفاً خاصاً بالمعصومة الصغرى، سيدتنا ومولاتنا (زينب الكبرى) بنت الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليها وعلى أبيها، يبين تفصيل أحوالها، ويشرح فضائلها ومناقبها، ومزاياها التي خصها بها الباري تعالى، سوى الكتاب الفارسي المسمى (بالطراز المذهب) الذي جمع فيه مؤلفه بين الغث والسمين، ألفت كتابي هذا في شرح سيرتها وبيان فضلها ورفعة شأنها وجلالتها عليها السلام طالباً من الباري جل شأنه المعونة والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

نسبها صلوات الله عليها

أما أبوها فهو أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ الذي رباه النبي ﷺ طفلاً، وعلمه علم ما كان وما يكون شاباً، ونصبه من بعده علماً لأمته كهلاً، وفضائله لا تحصى، ومناقبه لا تستقصى وبحار علمه لا تنزف، وأطواد حلمه لا تتزعزع، أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ وأحلمهم، وأجودهم، وأكرمهم وأزهدهم وأشجعهم وأعبدهم وأوفاهم وأورعهم وأقضاهم.

ولد صلوات الله عليه في مكة المكرمة داخل البيت الحرام[1] يوم

---

(١) لا يرتاب كل من قرأ التاريخ وجوامع الحديث في ولادة أمير المؤمنين في الكعبة المقدسة، ولذلك قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٤٨٣ : تواترت الأخبار فيه، وتابعه جمع من علماء العامة منهم شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في إزالة الخفا، والسيد محمود الألوسي المفسر في شرح عينية عبد الباقي العمري ص ١٥، والمؤرخ نشا بنج زادة محمد بن أحمد بن محمد بن رمضان في مرآة الكائنات ج ١ ص ٣٨٣ طبع تبريز بالتركية، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ طبع النجف وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة طبع ايران، وعبد الحميد الدهلوي في سيرة الخلفاء ج ٨ بالهندية وسبط ابن الجوزي في التذكرة طبع ايران والشبلنجي في نور الأبصار طبع مصر وأحمد بن منصور الكازروني في مفتاح الفتوح فارسي، وعبد الرحمن الجامي في شواهد النبوة، والشيخ عبد الحق الدهلوي=

الجمعة الثالث عشر من شهر رجب المرجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه عليه الصلاة والسلام وذلك إكراماً من الله تعالى له، وإجلالاً لمحله في التعظيم، وكانت إمامته بعد النبي ﷺ ثلاثين سنة، منها أربع وعشرون سنة وأشهر أيام الخلفاء الثلاثة ومنها خمس سنين وأشهر ممتحناً بجهاد الناكثين والقاسطين والمارقين.

وكانت وفاته عليه السلام قبيل الفجر ليلة الجمعة في إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً بسيف الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله في مسجد الكوفة، وقد خرج عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، وكان هذا اللعين أرصده في أول الليل لذلك فلما مر به عليه السلام في المسجد وهو مستخفٍ بأمره متناوم بين النائمين في المسجد وانتظره حتى إذا دخل في صلاته قام إليه فضربه على أم رأسه بالسيف وكان مسموماً، فمكث يوم تسعة عشر وليلة عشرين ويومها وليلة إحدى وعشرين إلى نحو الثلث الأول من الليل ثم قضى نحبه شهيداً، ولقي ربه مظلوماً، وبعد ما غسله وكفنه ولداه الحسنان عليهما السلام حملاه إلى الغري من نجف الكوفة فدفناه هناك، وعفيا موضع قبره بوصية كانت منه إليهما في ذلك،

في مدارج النبوة، ومحمد صالح بن عبد الله الكشفي الترمذي الأكبر آبادي في مناقبه مطبوع، وميرزا محمد بن رستم معتمد خان الحارثي البدخشي في مفتاح النجا في مناقب آل العبا والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدرس بالأزهر في كفاية الطالب في مناقب علي (ع) ص ٣٧، وصدر الدين أحمد البردواني في روائح المصطفى ص ١٠. هذا ما أوقفنا البحث في كتب العامة على الاعتراف والتصديق بولادته عليه السلام في الكعبة، وقد اكتفينا بذلك عن ذكر كتب الخاصة البالغة إلى عدد لا منتهى له في الكثرة وكلهم نصوا على ولادته فيها تركنا ذكر أسمائهم لعدم تحمل هذا المختصر (نقلاً عن رسالة كتبها العلامة الميرزا محمد علي الأوردبادي في هذه المسألة خاصة مع تحقيقات رشيقة).

لما كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلمه من دولة بني أمية والذي أظهر قبره الشريف للناس هو الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

روى محمد بن جرير الطبري الإمامي في الدلائل عن حبيب بن الحسين عن عبيد بن خارجة عن علي بن عثمان عن فرات بن أحنف عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث زيارته لجده الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ها هنا قبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أما إنه لا تذهب الأيام حتى يبعث الله رجلاً ممتحناً في نفسه بالقتل يبني عليه حصناً فيه سبعون طاقاً، قال حبيب بن الحسين: سمعت هذا الحديث قبل أن يبنى على الموضع شيء ثم إن محمد بن زيد (الداعي العلوي صاحب طبرستان) وجه فبنى عليه فلم تمض الأيام حتى امتحن محمد في نفسه بالقتل (انتهى) وقد توفي محمد بن زيد الداعي سنة ٢٨٧ على أثر جراحات اصابته في محاربته مع عسكر اسماعيل السأماني (في قصة طويلة) انظر تاريخ أبي الفداء في حوادث سنة ٢٨٧.

وروى أيضاً الصدوق[١] في كتاب الزيارات من كتابه من لا يحضره الفقيه رواية فيها تعيين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قبر جده في موضعه المعروف في النجف لما زاره مع بعض أصحابه وفي بعض الروايات عن بعض الأئمة الهداة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنه لما كان أيام السفاح وجاء أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الحيرة وأقام بها صار يزور قبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مع خواص الشيعة فصاروا يعرفونه ويدلون عليه الخواص ولم يعرفه العامة وسائر الناس حتى أظهره الرشيد بالبناء عليه أيام خلافته أو محمد بن زيد الداعي العلوي على خلاف في ذلك بين أهل التواريخ وكان سن أمير المؤمنين يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة على أصح الأقوال.

وأما أمها عَلَيْهَا السَّلَامُ فهي البضعة الطاهرة سيدة نساء العالمين الصديقة

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٦٦ ح ٣١٩٥ ط الأعلمي.

الكبرى فاطمة الزهراء، بنت رسول الله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلوات الله عليه وآله وهي أصغر بنات النبي ﷺ ولدت لسنتين من المبعث، وقيل لخمس بعد المبعث، وقيل قبله، وتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام بعد الهجرة بسنة واحدة وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بخمس وتسعين يوماً، وقيل بخمس وسبعين، وقيل بأربعين، وقيل بستة أشهر، وقيل غير ذلك والأصح الأول.

وفضائل فاطمة عليها السلام كثيرة ومناقبها لا تعد.

روى ابن حجر في الاصابة بإسناده عن عمرو بن دينار قالت عائشة ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها.

وفيه عن ابن عباس أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية.

وفيه عن جابر حسبك من نساء العالمين أربع فذكرهن.

وفيه عن الصحيحين عن المسور بن مخرمة سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها(١).

وفيه عن علي عليه السلام قال النبي ﷺ لفاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك(٢).

وكانت فاطمة عليها السلام تالية أبيها وبعلها في العبادة والتقوى والزهد والعلم والفضل والحلم والوقار وغير ذلك من الصفات الممتازة كما هو

---

(١) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه (ج ٣ ص ١٨٩) طبع مصر سنة ١٣٢٠ في باب مناقب فاطمة (ع) ومثله مسلم في صحيحه (ج ٢ ص ٢٤٨) طبع مصر سنة ١٢٩٠، وأورده ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ١١٣، وقال أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن المسور بن مخرمة.

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٧٠ ط مصر.

غير خفي على من نظر في تاريخ حياتها صلوات الله عليها.

وولدت فاطمة عليها السلام ولدها الحسن عليه السلام في السنة الثالثة من الهجرة ولم يكن بينه وبين أخيه الحسين إلاَّ مدة الحمل، ثم ولدت زينب الكبرى ثم أم كلثوم واسمها رقية على الصحيح، وقيل زينب أيضاً ثم حملت بالمحسن وأسقطته لستة أشهر، وعلى هذا أكثر المؤرخين وحملة الأخبار والآثار.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب ذرية فاطمة عليها السلام حباً جماً حتى قال أبو هريرة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمص لعاب الحسن والحسين كما يمص الرجل اللبن.

وعن أُسامة بن زيد قال طرقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة لحاجة فخرج وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي، قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله فإذا هو حسن وحسين على وركه، فقال: هذان ابناي وابنا بنتي، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما ثلاث مرات.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ظهره الحسن والحسين عليهما السلام وهو يقول: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما.

والأخبار الواردة في فضائل الحسنين عليهما السلام كثيرة جداً رواها المؤالف والمخالف في كتبهم وهي مشهورة نورد في كتابنا هذا شيئاً يسيراً منها تبركاً بها وإلحاقاً بهذا العنوان.

قال القندوزي البلخي في ينابيع المودة[1] في الباب الرابع والخمسين منه: أخرج ابن عساكر عن علي وابن عمر وابن ماجة

---

(١) ينابيع المودة باب ٥٤ ص ١٩٦ ط الأعلمي.

والحاكم عن ابن عمر والطبراني عن قرة ومالك بن حويرث والحاكم أيضاً عن ابن مسعود مرفوعاً: ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما.

وفيه أخرج الترمذي والطبراني عن أُسامة بن زيد مرفوعاً: هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أُحبهما وأُحب من يحبهما.

وعن ذاذان عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحسن والحسين: اللهم إني أُحبهما فأحبهما وأحب من أحبهما، وقال ﷺ: من أحب الحسن والحسين أحببته ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار.

وقال ﷺ: هذان ريحانتاي من الدينا وقال ﷺ: الولد ريحانة وريحانتي الحسن والحسين.

وفي إرشاد المفيد[1] محمد بن محمد بن النعمان العكبري رحمه الله، كان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وهدياً وسؤدداً روى ذلك جماعة منهم معمر عن الزهري عن أنس بن مالك، قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي عليه السلام وروى إبراهيم بن علي الرافعي عن أبيه عن جدته زينب بنت أبي رافع وشبيب ابن أبي رافع الرافعي عن جدته، أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ في شكواه التي توفي فيها فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً فقال ﷺ: أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جودي وشجاعتي.

وفي مودة القربى للعالم العارف السيد علي بن شهاب الدين

---

(١) الارشاد للمفيد ص ١٨٧ ط الأعلمي.

الهمداني عن سلمان الفارسي رحمه الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا بالحسين عليه السلام على فخذه وهو يقبل عينيه ويقبل فاه ويقول: أنت سيد وابن سيد، أنت إمام وابن إمام، أنت حجة وابن حجة وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم.

إخوتها وأخواتها عليها وعليهم السلام

نكتفي هنا بذكر اخوة زينب الكبرى الذين هم لأُمها وأبيها بما تقــدم، أمـا أُختها أُم كلثوم فسيأتي تفصيل أحوالها عند الكلام على موضع دفنها أما اخوتها وأخواتها الذين هم من غير الصديقة الطاهرة فاطمة صلوات الله عليها فأولهم محمد ابن الحنفية.

قال سبط ابن الجوزي في تذكرته كنيته أبو القاسم وقيل أبو عبد الله وهو من الطبقة الأولى من التابعين ولد بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقال أحمد في المسند: حدثنا وكيع حدثنا مطر حدثنا منذر حدثنا محمد ابن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك ولد أُسميه باسمك وأُكنيه بكنيتك، قال: نعم، قال: وأم محمد خولة بنت جعفر بن قيس الحنفي من سبي اليمامة، قال الزهري: كان محمد من أعقل الناس وأشجعهم معتزلاً عن الفتن وما كان فيه الناس.

وقال ابن سعد في الطبقات لما استولى ابن الزبير على الحجاز بعث إلى ابن الحنفية يقول له: بايعني، وبعث إليه عبد الملك بن مروان يقول له كذلك، فقال لهما: أنا رجل من المسلمين إذا اجتمع الناس على إمام بايعته فلما قتل ابن الزبير بايع عبد الملك.

وقال وهب بن منبه: كانت القلوب مائلة إلى محمد ابن الحنفية.

أقول: كان محمد ابن الحنفية من أورع الناس وأتقاهم بعد أئمة الدين وكان عالماً عابداً متكلماً فقيهاً زاهداً شجاعاً كريماً خدم والده الكرار وأخويه السبطين عليهم السلام خدمة صادقة، شهد حروب والده وأبلى مع أخيه الحسن بلاءاً حسناً، قال الباقر عليه السلام: ما تكلم الحسين عليه السلام بين يدي الحسن عليه السلام اعظاماً له، ولا تكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين إعظاماً له. وكفى في شأن محمد وجلالة قدره ما رواه الكشي عن الرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تأبى المحامدة أن يُعصى الله عز وجل، وهم محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن الحنفية، وكانت الكيسانية تقول بإمامته ولكنه تبرأ منهم ومن دعواهم، وكان يرى تقديم زين العابدين فرضاً وديناً، كان لا يتحرك بحركة لا يرضى بها عليه السلام.

أما قضية التحاكم إلى الحجر الأسود المشهورة فإنما كانت منه لازاحة شكوك الناس في ذلك لما كان يبلغه من ادعاء الكيسانية الإمامة له، وأما عدم خروجه مع الحسين عليه السلام فالذي يظهر من الأخبار التي عليها المعول أنه كان مريضاً، وبه أجاب العلامة الحلي (قده) في المسائل المهنائية، وفي رواية أن يده كانت شلاء لعين أصابتها، ولما اشتدت محنة ابن الزبير على الهاشميين وكثر اضطهاده لهم وامتنع محمد من بيعته حبسه في مكان يقال له حبس عارم، وفيه يقول كثير عزة وهو من الكيسانية يخاطب ابن الزبير:

يخبر من لاقيت أنك عائذ ... بل العائذ المظلوم في حبس عارم
ومن ير هذا الشيخ في الخيف والمنى ... من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه ... وفكاك أغلال وقاضي المغارم

ويقال إنه حبسه في قبة زمزم وحبس معه عشرين شخصاً من وجوه عشيرته وجماعة من بني هاشم وهم الذين لم يبايعوه وضرب لهم أجلاً

إن لم يبايعوه فيه وإلاَّ أحرقهم بالنار، وأشار بعض من كان مع محمد أن يبعث إلى المختار فيعرفه حديثهم وما توعدهم به ابن الزبير، وكان المختار قد ظهر أمره في الكوفة يدعو إلى الكيسانية والطلب بثأر الحسين ويسمي ابن الحنفية المهدي، فكتب إليه وقال في كتابه: يا أهل الكوفة لا تخذلونا كما خذلتم الحسين عليه السلام فلما قرأ المختار كتابه بكى وجمع الأشراف وقرأه عليهم، وقال: هذا كتاب مهديكم وسيد أهل بيت نبيكم وقد تركهم الرسول ينتظرون القتل والحريق ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم واسرب الخيل في أثر الخيل كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل، ثم سرح إليهم عبد الله الجدلي في ألف فارس وأتبعه بألف ثم بألف وألف فساروا حتى هجموا على مكة ونادوا يا لثارات الحسين ووافوا الحطب على باب القبة ولم يبق من الأجل سوى يومين فكسروا باب القبة وأخرجوا محمداً ومن معه وسلموا عليه، وقالوا: خل بيننا وبين عدو الله المحل ابن الزبير، فقال محمد: لا أستحل القتال في حرم الله ثم بقي كذلك حتى خرج محمد في أربعة آلاف فخرج إلى أيلة فأقام بها مدة سنتين، وكان ابن الزبير قد أحرق داره وقيل بل أقام بالطائف وهو الأشهر، وكانت وفاة ابن الحنفية بالطائف سنة إحدى وثمانين وله من العمر خمس وستون سنة، واختلف في مدفنه، فقيل بالطائف وقيل بأيلة، وقيل بالمدينة، والأشهر هو القول الأول.

وقد روى عبدالله بن عطا عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: أنا دفنت عمي محمد ابن الحنفية ونفضت يدي من تراب قبره.

أقول: وأخبار محمد بن الحنفية وفضائله وفواضله كثيرة نكتفي منها بما نقلناه.

ومن إخوتها العباس وعبدالله وجعفر وعثمان، أُمهم أُم البنين فاطمة ابنة حزام الكلابية تزوجها علي عليه السلام باشارة أخيه عقيل، وكان

عالماً بأنساب العرب وأخبارهم، وكانت من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام كما كانت فصيحة بليغة لسنة ورعة ذات زهد وتقى وعبادة، ولإكبارها وجلالتها زارتها زينب الكبرى بعد منصرفها من واقعة الطف كما كانت تزورها أيام العيد[1] ولقد كانت تخرج إلى البقيع حاملة ولد العباس عبيد الله ترثي أولادها الأربعة فيجتمع الناس لسماع رثائها فيبكون ولا يزال مروان يسمع ذلك ويبكي فمن قولها:

لا تـدعـونـي ويـك أُم البنيـن	تـذكـريـنـي بليـوث العـريـن
كـانـت بنـون لـي أُدعـى بهـم	واليـوم أصبحـت ولا مـن بنيـن
أربعـة مثـل نسـور الـربـى	قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنـازع الخـرصـان أشـلاءهـم	فكلهـم أمسـى صـريعـاً طعيـن
يـا ليـت شعـري أكمـا أخبـروا	بـأن عبـاسـاً قطيـع الـوتيـن

ومن قولها:

يـا مـن رأى العبـاس كـر	علـى جمـاهيـر النقـد
ووراه مـــن أبنـــاء حيـ	ـدر كـل ليـث ذي لبـد
أُنبئـــت أن ابنـــي أصيـ	ـب بـرأسـه مقطـوع يـد
ويلـي علـى شبلـي أمـا	ل بـرأسـه ضـرب العمـد
لـو كـان سيفـك فـي يـديـ	ـك لمـا دنـا منـه أحـد

ولدت لعلي عليه السلام العباس وعبد الله وجعفراً وعثمان، أما العباس فكانت ولادته في الرابع من شعبان[2] سنة ست وعشرين من الهجرة.

---

(١) حكي ذلك عن مجموعة الشهيد الأول.

(٢) حكاه العلامة الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي عن كتاب (أنيس الشيعة) بالفارسية للعالم السيد محمد بن عبد الحسين ابن السيد محمد عبد الهادي المدارسي الهندي من مؤلفي عصر (فتح علي شاه) رأى الكتاب في تبريز وقرأ على ظهره بخط المؤلف أنه أهداه إلى السلطان المذكور يوم الجمعة أول شعبان سنة ١٢٤٤ وله من المؤلفات=

وله يوم قتله أربع وثلاثون سنة، وكان له من الولد عبدالله والفضل والحسن ومحمد والقاسم وبنت، ويكنى أبا قربة وأبا القاسم وأبا الفضل ويلقب بالشهيد والسقا وقمر بني هاشم وباب الحوائج، وهو من عظماء أهل البيت علماً وورعاً ونسكاً وعبادة، ولكثرة السجود بين عينيه أثر ظاهر، وكان صلب الإيمان نافذ البصيرة لا تأخذه في الله لومة لائم ولا أماني متمرد غاشم، يدلنا على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أخيه الحسين عليه السلام وأبلى بلاءاً حسناً ومضى شهيداً، ويحدث الإمام السجاد عليه السلام من قبله عما عوضه الله تعالى عن يديه بأن جعل له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كجعفر الطيار، وعن منزلته في الجنان فيقول عليه السلام له منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة، ولفظ الجميع يشمل حتى حمزة أسد الله وجعفر الطيار مع الملائكة.

وأخبار فضله وفواضله ومناقبه لا تحصى وسنفرد لها كتاباً خاصاً إن شاء الله تعالى.

ومن الناس في قرننا هذا من يزعم أن لأمير المؤمنين عليه السلام عباساً آخر وذلك لاختلاف بعض الروايات في قتله وصفته عليه السلام وتبعه على هذا القول بعض الأفاضل من المعاصرين، وهو قول لا يعرفه النسابون ولا المؤرخون، وأما تسمية سبط ابن الجوزي للعباس بالأكبر واقتدى به الشبلنجي وغيره به فالمراد منه أكبر أولاد أُم البنين أو أنه أكبر من يسمى بهذا الاسم من الطالبيين.

ومن إخوتها محمد الأوسط، وأمه امامة بنت أبي العاص، وأم امامة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوج بها أمير المؤمنين عليه السلام لوصية

زاد المؤمنين، وتذكرة الطريق، وعناية الرضا، كلها بالفارسية.

فاطمة، ومحمد هذا قتل مع أخيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الطف وقيل المقتول هو محمد الأصغر وأمه أُم ولد وقاتله من تميم من بني أبان بن دارم والأوسط مات حتف أنفه.

ومنهم عمر ورقية الصغرى، وأُمهما أُم حبيب بنت ربيعة التغلبي وكانت تسمى الصهباء، قيل ولد عمر واخته توأمين وعاشا، وقال الطبرسي في الأعلام: كانت رقية بنت علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عند مسلم بن عقيل[1]

---

(١) ولد مسلم من أُم ولد نبطية من آل فرزند وهم ملوك النبط اسمها علية أو صهيلة اشتراها عقيل من الشام، وأولاده خمسة عبد الله وعلي، أُمهما رقية بنت الصهباء، ومحمد أُمه أُم ولد قتل بالطف في جملة آل أبي طالب ومسلم وعبد العزيز، ذكرهما ابن قتيبة في المعارف، ويظهر من المجلسي في البحار ج ٨ في وقعة صفين أنه كان ممن يحمل السلاح فإنه يقول: وجعل أمير المؤمنين على ميمنة الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل وإن كلمة الحسين (ع) الثمينة في كتابه لأهل الكوفة: وأنا باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، ترشد البصير إلى مكانة مسلم العالية في العلم والكرامة والخبرة بأصول السياسة والاصلاح بين الأمة ولو لم يعرفه الحسين بأن له القدرة على نشر مبادىء الدين القويم وازاحة الشبه في مختلف المسائل وتنظيم الشؤون الادارية والعسكرية لم يعتمد عليه في هذه السفارة المهمة (إذ الرسول دليل عقل المرسل) وأما أبوه عقيل فناهيك في فضله وتقدمه في قريش علمه المتكاثر في أنساب العرب ومثالبها وفواضلها ورئي قريش الصائب في هذه الأحوال، أضف إلى ذلك استحضاره للجواب مع النكات البديعة وأجوبته المسكتة تشهد بفضل رفيع. ولد في مكة بعد ولادة النبي (ص) بعشر سنين وكان أكبر من علي بعشرين سنة ومن جعفر بعشر سنين وأصغر من طالب عشر سنين، وتوفي سنة ستين من الهجرة قبل حادثة الطف، وقد أهمل المؤرخون إسلامه، وارخه ابن حجر في الاصابة بعد الحديبية، ولا بدع أن أهملوا مثله وقد طعنوا من قبل في أبيه شيخ الأبطح ورئي قريش وقد حمل وصايا الأنبياء وسلمها إلى النبي العظيم (ص) ونحن إذا قرأنا في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٨٢ قول النبي (ص) لأصحابه (إني قد عرفت رجالاً من بني هاشم قد خرجوا إلى بدر كرهاً فمن لقي منكم رجلاً منهم فلا يقتله) يمكننا أن نستفيد إيمان عقيل بالنبوة قبل الهجرة، غير أن سياسته قريشاً اضطرته إلى التستر والاستخفاء كيف لا وهو يشاهد أباه وأمه وأخوته مصدقين بالنبوة خاضعين للدعوة الالٓهية وهم أعضاد الحنيفية البيضاء فلم يكن الغصن الباسق من ذلك الدوح اليانع بدعاً من أصله =

فولدت له عبد الله بن مسلم قتل يوم الطف، وعلياً ومحمداً ابني مسلم، وقال الداودي عمر الأطرف ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا القاسم قاله الموضح النسابة، وقال ابن خداع: يكنى أبا حفص وولد توأماً لأخته رقية، قال وكان ذا لسان وفصاحة وجود وعفة، وقال ولا يصح رواية من روى أن عمر حضر كربلا.

قلت: وقد عمر عمراً طويلاً، قيل تسعين سنة، وقيل خمساً وثمانين، ورويت عنه بعض الأحاديث.

ومنهم يحيى وعون، أما يحيى فلا خلاف في أن أمه أسماء بنت عميس، وأما عون فقيل إن أمه أسماء أيضاً، وقيل أُمه أُم ولد، توفي يحيى في حياة أبيه، واستشهد عون يوم الطف مع أخيه الحسين عليه السلام.

ومنهم أبو بكر قيل اسمه كنيته، وقيل هو محمد الأصغر، وقال أبو الفرج لم يعرف اسمه، وعبيد الله المقتول في المذار في جيش مصعب بن الزبير، وأُمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

ومنهم زينب الصغرى ورقية الصغرى وكنيتها أم كلثوم، وقيل: هي

الكريم، ولو تنازلنا عن ذلك كله لدلنا ابن قتيبة في المعارف ص ٦٨ على إسلامه يوم بدر بأمر النبي (ص) أضف إلى ذلك قول النبي (ص) لعلي وقد قال له إنك لتحب عقيلاً قال (إي والله أحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب وإن ولده المقتول في محبة ولدك تدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون) ثم بكى رسول الله (ص) وقال إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي. وفي شخوصه إلى معاوية أسرار دقيقة لا يهتدي إليها إلا من استضاء بنور الولاية لأنه كان عالماً بالآثار واقفاً على خفي الأنساب سريع الجواب، وفي حضوره هناك أظهر من فضل بيته الطاهر والطعن في البيت الأموي ما لا يخفى على الباحث في السير والآثار، ويكفيه فخراً أنه يأتي يوم القيامة إلى رسول الله (ص) والأئمة من عترته رافعاً رأسه إلى النبي (ص) وأمامه أبناؤه التسعة معتذراً عن حضوره في مشاهد أخيه الإمام (ع) بكف بصره ومقدماً هؤلاء المتشحطين بدم الشهادة ونعمت الهدية ذلك اليوم.

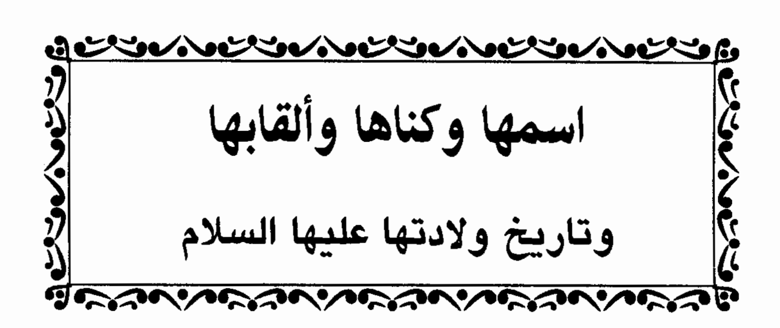
كنية زوجة مسلم بن عقيل وهذه لا كنية لها، وأمهما أم سعيد بنت عروة الثقفية وكانت الأولى منهما عند محمد بن عقيل فولدت له عبد الله، وفيه العقب من ذرية عقيل، قال الذهبي روى عن أبيه وخاله ابن الحنفية وآخرين وذكره ابن سعد إلى أن قال كان خيراً فاضلاً موصوفاً بالعبادة من أهل الصدق مات بعد سنة ١٤٠.

وماتت أُمه بالمدينة ودفنت ببقيعها، وكانت الثانية عند عبد الرحمن بن عقيل فولدت له سعداً وعقيلاً.

ومن أخواتها بنت ماتت وهي صغيرة، قيل اسمها خديجة أمها محياة بنت امرىء القيس الكلابية، وكان من ذكائها أنها كانت تلثغ باللام فكانت تحترز عن اللام في كلامها وكان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يسئلونها من أخوالك فتقول وه وه احترازاً من لام كلاب.

ومن اخوتها وأخواتها لأمهات شتى: عمران قيل أصيب جريحاً في النهروان ومات في بابل وقبره يزار هناك، ورملة زوجها أبوها من أبي الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأم هاني تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب فولدت له محمداً قتل يوم الطف، وعبد الرحمن وميمونة وكانت عند عقيل بن عبد الله بن عقيل، وأمامة وكانت عند الصلت بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وولدت له نفيسة وتوفيت عنده، وفاطمة كانت عند أبي سعيد بن عقيل فولدت له حميدة، وعاشت فاطمة هذه حتى رأت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد رويت عنها أحاديث وهي التي أرسلت جابر بن عبد الله الأنصاري لتسلية علي بن الحسين عليه السلام من البكاء.

هؤلاء اخوة زينب عليها السلام وأخواتها ذكرنا ما يتحمله الكتاب من ذكرهم، ولبعضهم أخبار وآثار ذكرنا شيئاً منها فيما ألفناه من مناقب أبيهم المرتضى من كتبنا، وعسى أن نتعرض لشيء منها مع الحاجة إليه.



اسمها وكناها وألقابها

وتاريخ ولادتها عليها السلام

لما ولدت زينب عليها السلام جاءت بها أمها الزهراء عليها السلام إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت سم هذه المولودة، فقال: ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان في سفر له ـ ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأله علي عليه السلام عن اسمها فقال ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرائيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل وقال له سم هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين.

وتكنى بأُم كلثوم كما تكنى بأُم الحسن أيضاً ولم نقف إله على حقيقة ويقال لها زينب الكبرى للفرق بينها وبين من سميت باسمها من أخواتها، وكنيت بكنيتها كما أنها تلقب بالصديقة الصغرى للفرق بينها وبين أُمها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام وتلقب بالعقيلة وعقيلة بني هاشم وعقيلة الطالبيين ـ والعقيلة هي المرأة الكريمة على قومها العزيزة في بيتها وزينب فوق ذللك ـ وبالموثقة والعارفة، والعالمة غير المعلمة، والفاضلة، والكاملة، وعابدة آل علي وغير ذلك من الصفات

الحميدة والنعوت الحسنة.

وهي أول بنت ولدت لفاطمة صلوات الله عليها في أشهر الأقوال، وهو القول الذي نعتمد عليه ونختاره، وقيل أول بنات فاطمة اسمها رقية وكنيتها أُم كلثوم، وهي التي تزوجها عمر بن الخطاب وأولدها زيداً، وماتت في حياة أخيها الحسن بن علي عليه السلام والصحيح المشهور هو ما اعتمدنا عليه. أما أم كلثوم فسيأتي تحقيق اسمها وأحوالها إن شاء الله تعالى عند تحقيق موضع قبرها عليها السلام.

ومما يدلنا على أنها أكبر بنات فاطمة أن الرواة في أيام الاضطهاد كانوا إذا أرادوا الرواية عن علي عليه السلام يقول الرجل منهم هذه الرواية عن أبي زينب كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج، وإنما كنوا أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الكنية لأن زينب عليها السلام كانت الأكبر من ولده بعد الحسنين عليهما السلام ولم يكن يعرف بهذه الكنية عند أعدائه.

كانت ولادة هذه الميمونة الطاهرة زينب عليها السلام في الخامس من شهر جمادى الأولى في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة على ما حققه بعض الأفاضل، وقيل في شعبان في السنة السادسة للهجرة، وقيل في السنة الرابعة، وقيل في أواخر شهر رمضان في السنة التاسعة للهجرة وهذا القول باطل لا يمكن القول بصحته لأن فاطمة عليها السلام توفيت بعد والدها في السنة العاشرة أو الحادية عشرة للهجرة على اختلاف الروايات فإذا كانت ولادة زينب في السنة التاسعة وهي كبرى بناتها فمتى كانت ولادة أم كلثوم ومتى حملت بالمحسن وأسقطته لستة أشهر، لأن المدة الباقية من ولادة زينب على هذا القول إلى حين وفاة أمها غير كافية، والذي يترجح عندنا هو أن ولادة زينب كانت في الخامسة من الهجرة وذلك حسب الترتيب الوارد في أولاد الزهراء عليها السلام.

أضف إلى ذلك أن الخبر المروي في البحار عن العلل في باب

معاشرة فاطمة مع علي عليه السلام جاء فيه: حملت الحسن على عاتقها الأيمن والحسين على عاتقها الأيسر وأخذت بيد أُم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى ثم تحولت إلى حجرة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وأم كلثوم هذه إن كانت هي زينب عليها السلام فذلك دليل على أنها كانت كبيرة، وإن كانت أختها فذاك دليل على أن أمها عليها السلام تركت زينب لتنوب منابها في الشؤون المنزلية فهي كانت كبيرة اذن.

وقد روى صاحب ناسخ التواريخ في كتابه: إن زينب أقبلت عند وفاة أُمها وهي تجر رداءها وتنادي يا أبتاه يا رسول الله الآن عرفنا الحرمان من النظر إليك.

وروى هذه الرواية صاحب البحار عن الروضة بهذا اللفظ وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة تجر ذيلها متجلببة برداء عليها تسحبهما وهي تقول يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً.

وأم كلثوم هذه هي زينب عليها السلام من غير شك كما صرح باسمها في رواية صاحب الناسخ ولكونها أكبر بنات فاطمة عليها السلام ، وهذا دليل واضح على أنها كانت عند وفاة أمها في السادسة أو السابعة من عمرها، ولهذا الخبر نظائر ومؤيدات منها ما نقله في الطراز المذهب عن بحر المصائب عن بعض الكتب لما دنت الوفاة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى كل من أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام رؤيا تدل على وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فأخذا بالبكاء والنحيب، فجاءت زينب إلى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: يا جداه رأيت البارحة رؤيا إنها انبعثت ريح عاصفة سودت الدنيا وما فيها وأظلمتها وحركتني من جانب إلى جانب فرأيت شجرة عظيمة فتعلقت بها من شدة الريح فإذا بالريح قلعتها وألقتها على الأرض، ثم تعلقت على غصن قوي من أغصان تلك الشجرة فقطعتها أيضاً فتعلقت بفرع آخر فكسرته أيضاً فتعلقت على أحد الفرعين من فروعها فكسرته أيضاً

فاستيقظت من نومي فبكى ﷺ، وقال: الشجرة جدك والفرع الأول أُمك فاطمة والثاني أبوك علي والفرعان الآخران هما أخواك الحسنان تسود الدنيا لفقدهم وتلبسين لباس الحداد في رزيتهم، وسيأتي أنها روت عن أُمها الأخبار.

نشأتها وتربيتها (ع)

التربية هي من أهم الأُمور للأطفال الذين يراد تثقيفهم وتهذيبهم وتأديبهم على الوجه الصحيح لأنها أساس كل فضيلة ودعامة كل منقبة وأول شيء يحتاج إليه في التربية هو اختيار المربي الكامل العامل بالدروس التي يلقيها على من يراد تربيته، ولذلك ترى الأمم الناهضة في كل دور من أدوار التاريخ ينتخبون لتربية ناشئتهم من يرون فيه الكفاءة والمقدرة من ذوي الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة علماً منهم أن الناشىء يتخلق بأخلاق مربيه ويتأدب بآدابه مهما كانت.

ولقد كانت نشأة هذه الطاهرة الكريمة، وتربية تلك الدرة اليتيمة زينب عليها السلام في حضن النبوة، ودرجت في بيت الرسالة رضعت لبان الوحي من ثدي الزهراء البتول، وغذيت بغذاء الكرامة من كف ابن عم الرسول، فنشأت نشأة قدسية، وربيت تربية روحانية، متجلببة جلابيب الجلال والعظمة، مرتدية رداء العفاف والحشمة، فالخمسة أصحاب العباء عليهم السلام هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها وكفاك بهم مؤدبين ومعلمين.

ولما غربت شمس الرسالة، وغابت الأنوار الفاطمية، وتزوج أمير

المؤمنين بأُمامة بنت أبي العاص[1] وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ بوصية من فاطمة عليها السلام إذ قالت: وأوصيك أن تتزوج بأُمامة بنت أختي زينب تكون لولدي مثلي. قامت أُمامة بشؤون زينب خير قيام، كما كانت تقوم بشؤون بقية ولد فاطمة، وكانت أُمامة هذه من النساء الصالحات القانتات العابدات، وكانت زينب عليها السلام تأخذ التربية الصالحة والتأديب القويم من والدها الكرار وأخويها الكريمين الحسن والحسين عليهما السلام إلى أن بلغت من العلم والفضل والكمال مبلغاً عظيماً كما سيأتي في بيان علمها وفضلها.

---

(١) كان رسول الله (ص) يحب أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع حباً شديداً وكان يفضلها على أهل بيته فيما يهدى إليه.
قالت عائشة: أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال (ص) لأدفعنها إلى أحب أهلي إلي فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبي قحافة فدعا رسول الله (ص) أمامة بنت زينب فاعلقها في عنقها.
وعن عائشة أيضاً: إن النجاشي أهدى إلى النبي (ص) حلية فيها خاتم من ذهب فصه حبشي فأعطاه أُمامة، خطبها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثم أبو الهياج ابن أبي سفيان بن الحارث فروت عن علي (ع) أنه لا يجوز لأزواج النبي والوصي أن يتزوجن بغيره بعده، هذا هو الصحيح وأما ما رواه النوفلي وأمثاله فلا نصيب له من الصحة، وكان أبو العاص أبو أُمامة هذه ابن أخت خديجة أم زينب بنت رسول الله (ص) واسم أُمه هالة بنت خويلد، أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر، ومات في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

شرفها ومجدها عليها السلام

الشرف في اللغة هو العلو، وشرف شرافة وشرفاً أي علا في دين أو دنيا فهو شريف أي ذو شرف، والشرف في النسب اتصاله بعظيم من العظماء وأظهر أفراد هذا النوع هم الذرية الطاهرة من آل الرسول والمجد لغة يطلق على الشرف الواسع، ويطلق على الكرم والعز والجاه، والمجد المؤثل هو الشرف المؤصل، يقال تأثل الشيء أي تأصل وتعظم.

وعن الشيخ أبي علي: المجد هو العلو والكمال والرفعة والتمجيد أن ينسب الأنساب إلى المجد كما ينسب إلى الشرف في الآباء أو إلى عمله الشريف فهو التشريف والتعظيم، فإذا سمعت هذا فاستمع لما يوحى إليك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم[1] وقد روي هذا الحديث بالإسناد إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن فاطمة الكبرى عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواه الطبراني وغيره بأسانيدهم المختلفة، كما في

---

(١) أورده النبهاني في الشرف المؤبد ص ٥١ وقال الصباني في اسعاف الراغبين: هذه الخصوصية لأولاد فاطمة عليها السلام فقط دون أولاد بقية بناته (ص) فلا يطلق عليه (ص) أنه أب لهم وانهم بنوه كما يطلق ذلك على أولاد فاطمة عليها السلام، نعم يطلق عليهم أنهم ذريته ونسله وعقبه.

الشرف المؤبد للنبهاني[1] عنه ﷺ إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب والروايات بهذا المعنى كثيرة، وهذا الشرف الحاصل لزينب عليها السلام شرف لا مزيد عليه، فإن ضممنا إلى ذلك أن أباها علي المرتضى وأمها فاطمة الزهراء وجدتها خديجة الكبرى وعمها جعفر الطيار في الجنة وعمتها أم هاني بنت أبي طالب وأخواها سيدا شباب أهل الجنة وأخوالها وخالاتها أبناء رسول الله ﷺ فماذا يكون هذا الشرف وإلى أين ينتهي شأوه ويبلغ مداه، وإذا ضممنا إلى ذلك أيضاً علمها وفضلها وتقواها وكمالها وزهدها وورعها وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله تعالى كان شرفها شرفاً خاصاً بها وبأمثالها من أهل بيتها، ومجدها مجداً مؤثلاً لا يليق إلا بها وبهم عليهم السلام، ومما زاد في شرفها ومجدها أن الخمسة الطاهرة أهل العباء عليهم السلام كانوا يحبونها حباً شديداً.

وحدث يحيى المازني قال كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدة مديدة وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله ﷺ تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل فسأله الحسن مرة عن ذلك، فقال أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب.

وورد عن بعض المطلعين أن الحسن عليه السلام لما وضع الطشت بين يديه وصار يقذف كبده سمع بأن أخته زينب تريد الدخول عليه أمر وهو في تلك الحال برفع الطشت إشفاقاً عليها.

وجاء في بعض الأخبار أن الحسين عليه السلام كان إذا زارته زينب

---

(١) ص ٥٣ طبع بيروت سنة ١٣٠٩.

يقوم إجلالاً لها وكان يجلسها في مكانه، ولعمري إن هذه منزلة عظيمة لزينب لدى أخيها الحسين عليه السلام كما أنها كانت أمينة أبيها على الهداية الإلهية، ففي حديث مقتل أمير المؤمنين عليه السلام الذي نقله المجلسي رحمه الله في تاسع البحار نادى الحسن أخته زينب[1] أم كلثوم هلمي بحنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبادرت زينب عليها السلام مسرعة حتى أتته به فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب.

وجاء ذكر زينب عليها السلام في أحاديث نبوية منها الحديث الذي ذكره الشيخ سليمان الحنفي في كتابه ينابيع المودة[2] في الباب الثامن والخمسين عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة رحمه الله فسألته عن أشياء فقال اسمع مني وعه وبلغ الناس إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعته باذني وقد جاء الحسين بن علي عليه السلام على المنبر فجعله على منكبيه، ثم قال: أيها الناس هذا الحسين خير الناس جداً وجدة، جده رسول الله سيد ولد آدم، وجدته خديجة سابقة إلى الإيمان من كل الأمة. وهذا الحسين خير الناس خالاً وخالة، خاله القاسم وعبد الله وإبراهيم، وخالته زينب ورقية وأم كلثوم، وهذا الحسين خير الناس عماً وعمة، عمه حمزة وجعفر وعقيل وعمته أم هانيء، وهذا الحسين خير الناس أباً وأماً وأخا وأُختاً، أبوه علي وأمه فاطمة وأخوه الحسن وأخته زينب ورقية.

ثم وضعه عن منكبه فأجلسه في جنبه فقال: أيها الناس هذا الحسين جده في الجنة وجدته في الجنة وأخواله في الجنة وخالاته في الجنة وأعمامه في الجنة وعماته في الجنة وأبوه في الجنة وأمه في الجنة

---

(١) في بعض نسخ البحار زينب وأم كلثوم وما نقلناه أصح بقرينة هلمي بلفظ المفرد وقرينة فبادرت زينب إلخ.. ومن هذا يظهر أن أم كلثوم الوارد ذكرها مكرراً في هذه الرواية هي زينب (ع).

(٢) ينابيع المودة ص ٣٢٧ الباب الثامن والخمسون ط الأعلمي.

وأخوه في الجنة وأختاه في الجنة وهو في الجنة، ثم قال: يا أيها الناس إنه لم يعط أحد من ذرية الأنبياء الماضين ما أُعطي الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، يا أيها الناس: إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل (قال) في الينابيع، أخرجه أبو الشيخ بن حبان في كتابه التنبيه الكبير، كذا أخرجه الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي المدني في درر السمطين.

أقول: هذا الحديث يثبت لك ما حققناه من أن زينب عليها السلام هي أكبر بنات فاطمة عليها السلام ويثبت أيضاً أن أم كلثوم اسمها رقية.

ومن الشرف الذي لم يقابله شرف لزينب عليها السلام أن الحسين عليه السلام ائتمنها على أسرار الإمامة كما في الخبر الذي رواه الصدوق في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة[1] قال: حدثنا علي بن أحمد بن مهزيار، قال: حدثني أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم، قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أُخت أبي الحسن العسكري عليه السلام في سنة ٢٦٢ بالمدينة، فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم بهم، ثم قالت: فلان ابن الحسن عليه السلام فسمته، فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً، فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمه فقلت لها: فأين المولود، فقالت: مستور، فقلت: فإلى من تفزع الشيعة، فقالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام، فقلت لها: اقتدى بمن في وصيته إلى المرأة، فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إن الحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر وكان ما يخرج عن علي بن الحسين

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٩٧ باب ٣٠ ح ٢ ط الأعلمي.

من علم ينسب إلى زينب بنت علي ستراً على علي بن الحسين، ثم قالت: إنكم قوم أصحاب أخبار أما رويتم أن التاسع من ولد الحسين يقسم ميراثه وهو في الحياة.

أقول: قد روى هذا الخبر شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في كتاب الغيبة عن محمد بن يعقوب الكليني عن محمد بن جعفر الأسدي عن أحمد بن إبراهيم إلا أنه قال فيه دخلت على خديجة بنت ابن محمد بن علي الرضا عليه السلام وذكر الحديث ولعل تبديل الاسم بخديجة من قلم الناسخ.

وروى المجلسي رحمه الله في البحار الخبر عنهما بلفظ حكيمة وفي هذا الخبر من الفضل لزينب عليها السلام، ما لا يخفى على من عرف منزلة هذه الوظيفة السامية التي وظفها بها الإمام عليه السلام ومما يدل على شرف قدرها وعلو منزلتها ما نقله بعض المتتبعين للآثار أن بعض النساء تلقت كتاباً من أختها في أثناء وقعة الجمل وفيه (ما الخبر ما الخبر إن علياً كالأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر) فجمعت هذه المرأة نساء قومها وصرن يضربن بالدفوف ويرددن ذلك الكلام فأُخبرت زينب عليها السلام بذلك فعمدت إلى توبيخهن، فقالت لها أم سلمة زوجة النبي: أنت ابنة أمير المؤمنين وعقيلة آل أبي طالب قري في مكانك ودعيني أخرج إليهن وأوبخهن، فأبت إلاَّ أن تخرج بنفسها إليهن وتزيت بزي الجواري وخرجت تحف بها الإماء ومعها أم سلمة وأُم أيمن حتى دخلت على النسوة، فلما رأتها المرأة استحيت وفرقت النساء وقالت لها إنهن فعلن ذلك بجهل، فقالت لها زينب عليها السلام: إن تظاهرتما على أبي فلقد تظاهرتما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل وعادت إلى بيتها.

ونقل شيخنا المفيد طاب ثراه هذه الرواية في كتاب النصرة في حرب البصرة قال فيه: لما بلغها نزول أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار

كتبت إلى الأُخرى: أما بعد فلما نزلنا البصرة نزل علي بذي قار والله داق عنقه كدق البيضة في الصفا بمنزلة الأشقر إن تقدم نحر وإن تأخر عقر.

فلما وصلها الكتاب استبشرت بذلك ودعت الصبيان وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن الدفوف ويقلن: ما الخبر ما الخبر علي في ذقر إن تقدم نحر وإن تأخر عقر، فبلغ أم سلمة (رحمها الله) اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه فبكت وقالت: اعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن واقع بهن، فقالت أم كلثوم بنت علي عليه السلام (وهي زينب بقرينة النقل الأول): أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك بهن فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواريها متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النظارة فلما رأت ما هن فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لها وجهها، ثم قالت: إن تظاهرت وأختك على أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله من قبل فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل والله من وراء حربكما، فانكسرت تلك المرأة المكتوب إليها وأظهرت خجلاً وقالت: إنهن فعلن هذا بجهل وفرقتهن في الحال وانصرفن من المكان ا هـ.

وفي البحار نقلاً عن أبي مخنف أن الذي قلنه في غنائهن (ما الخبر ما الخبر علي في سفر كالفرس الأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر) وفي الطراز المذهب عن ناسخ التواريخ أنه قال من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يضع لسانه في فم أولاد فاطمة الرضع فيغنيهم عن اللبن قال والأولاد الرضع يشمل الذكور والاناث، فزينب وأم كلثوم يشاركان الحسنين عليهما السلام في هذه الفضيلة، ومن المعلوم أن من التقم لسان رسول الله عقل العقول وورث علوم الأولين والآخرين وارتوى بمصه كيف يحصل على المراتب العالية وكيف يأخذ مقامات العلم والشرف.

وفي البحار عن معاني الأخبار[1] بإسناده عن محمد بن مروان قال قلت لأبي عبدالله: هل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، فقال عليه السلام: نعم عنى بذلك الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم.

وفيه عنه بالإسناد عن حماد بن عثمان قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار فقال المعتقون من النار هم ولد بطنها الحسن والحسين وأم كلثوم.

قلت: إن لفظة وزينب سقطت من هذا الخبر من قلم الناسخين بقرينة الخبر الأول.

---

(١) معاني الأخبار للصدوق ص ١٠٦ ط الأعلمي.

فضائلها ومناقبها عليها السلام

قال شهاب الدين بن حجر في الاصابة[1] زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية سبطة رسول الله ﷺ أمها فاطمة الزهراء، قال ابن الأثير: إنها ولدت في حياة النبي ﷺ وكانت عاقلة لبيبة جزلة زوجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر فولدت له أولاداً، وكانت مع أخيها لما قتل فحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية وكلامها ليزيد بن معاوية حين طلب الشامي أختها فاطمة مشهور يدل على عقل وقوة جنان.

أقول: وسيأتي إن شاء الله هذا الكلام الذي عناه فيما نذكره من بلاغتها.

وقال العلامة البرغاني في مجالس المتقين: إن المقامات العرفانية الخاصة بزينب عليها السلام تقرب من مقامات الإمامة، وإنها لما رأت حالة زين العابدين عليه السلام حين رأى أجساد أبيه واخوته وعشيرته وأهل بيته على الثرى صرعى مجزرين كالأضاحي وقد اضطرب قلبه واصفر وجهه، أخذت عليها السلام في تسليته وحدثته بحديث أم أيمن من أن هذا عهد من الله تعالى.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٢١ برقم ٥١٠.

أقول: وسيأتي حديث أم أيمن إن شاء الله تعالى فيما نذكره من الأخبار المروية عنها عليها السلام .

وفي الطراز المذهب: إن شؤونات زينب الباطنية ومقاماتها المعنوية كما قيل فيها إن فضائلها وفواضلها وخصالها وجلالها وعلمها وعملها وعصمتها وعفتها ونورها وضياءها وشرفها وبهاءها تالية أمها عليها السلام ونائبتها.

وفي مقاتل الطالبيين[1] لأبي الفرج الأصبهاني، زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة عليها السلام في فدك فقال حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي.

وفي جنات الخلود ما معناه كانت زينب الكبرى في البلاغة والزهد والتدبير والشجاعة قرينة أبيها وأمها عليهما السلام فإن انتظام أمور أهل البيت بل الهاشميين بعد شهادة الحسين عليه السلام كان برأيها وتدبيرها عليها السلام .

وقال ابن عنبة في أنساب الطالبيين زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام كنيتها أم الحسن تروي عن أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد امتازت بمحاسنها الكثيرة وأوصافها الجليلة وخصالها الحميدة وشيمها السعيدة ومفاخرها البارزة وفضائلها الظاهرة.

وعن الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته الزينبية، ولدت زينب في حياة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت لبيبة جزلة عاقلة لها قوة جنان، فإن الحسن ولد قبل وفاة جده بثمان سنين والحسين بسبع سنين وزينب الكبرى بخمس سنين.

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ١١٥ ط الأعلمي.

وعن النيسابوري في رسالته العلوية: كانت زينب ابنة علي عليه السلام في فصاحتها وبلاغتها وزهدها وعبادتها كأبيها المرتضى عليه السلام وأمها الزهراء عليها السلام.

وقال عمر أبو النصر اللبناني في كتابه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم المطبوع ببيروت، وأما زينب بنت فاطمة عليها السلام فقد أظهرت أنها من أكثر آل البيت جرأة وبلاغة وفصاحة، وقد استطارت شهرتها بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجة وقوة وجرأة وبلاغة حتى ضرب بها المثل وشهد لها المؤرخون والكتاب، وقال أيضاً في كتابه الحسين بن علي المطبوع حديثاً أيضاً ومما يجب أن يصار إلى ذكره في هذا الباب ما ظهر من زينب بنت فاطمة وأخت الحسين عليه السلام من جرأة وثبات جأش في مواقفها هذه يوم المعركة وعند ابن زياد وفي قصر يزيد إلى آخر ما قال.

وقال البحاثة فريد وجدي على ما نقله عنه بعض الأجلاء: السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها كانت من فضليات النساء وشريفات العقائل ذات تقى وطهر وعبادة هاجرت إلى مصر وتوفيت بها (ا هـ). والذي رأيته في كتابه كنز العلوم واللغة، زينب بنت الحسين بن علي، ولعل الأصل أخت الحسين بن علي وتبديله الأخت بالبنت غلط مطبعي.

وقال الفاضل الأديب حسن قاسم في كتابه السيدة زينب، السيدة الطاهرة الزكية زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشقيقة ريحانتيه لها أشرف نسب وأجل حسب وأكمل نفس وأطهر قلب فكأنها صيغت في قالب ضمخ بعطر الفضائل فالمستجلي آثارها يتمثل أمام عينيه رمز الحق، رمز الفضيلة، رمز الشجاعة، رمز المروءة وفصاحة اللسان، قوة الجنان، مثال الزهد والورع، مثال العفاف والشهامة، إن في ذلك لعبرة...

وقال أيضاً: فلئن كان في النساء شهيرات فالسيدة أولاهن، وإذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة!.. من وفاء وسخاء وصدق وصفاء وشجاعة وإباء وعلم وعبادة وعفة وزهادة فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها.

وقال العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي في تحفة العالم (المطبوع بالنجف) زينب الكبرى زوجة عبد الله بن جعفر تكنى أم الحسن ويكفي في جلالة قدرها ونبالة شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت على الحسين عليه السلام وكان يقرأ القرآن فوضع القرآن على الأرض وقام لها إجلالاً.

وقال العلامة الأجل السيد هبة الدين الشهرستاني سلمه الله في كتاب نهضة الحسين[1] لزينب أخت الحسين عليه السلام شأن مهم ودور كبير النطاق في قضية الحسين عليه السلام.

---

(١) قال سلمه الله تعالى في هامش النهضة: لأمير المؤمنين (ع) بنتان بهذا الاسم ويلقب أم كلثوم والكبرى وهي سيدة الطف، وكان ابن عباس ينوه عنها بعقيلة بني هاشم ولدتها الزهراء بعد شقيقها الحسين بسنتين وتزوجها عبد الله ابن عمها جعفر الطيار بعد وفاة أختها في خلافة عثمان أو معاوية، وكانت قطب دائرة العيال في المخيم الحسيني، وقد أفرد لسان الملك ترجمتها في مجلد خاص بها من موسوعة (ناسخ التواريخ) وجاء في الخيرات الحسان وغيره أن مجاعة أصابت المدينة فرحل عنها عبد الله بن جعفر بأهله إلى الشام في ضيعة له هناك وقد حمت زوجته زينب من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لآل الرسول ثم توفيت على أثرها في نصف رجب سنة ٦٥ ودفنت هناك حيث المزار المشهور، وقال جماعة إن هذا لزينب الصغرى كما مرسوم على صخرة القبر وإن الكبرى توفيت بمصر ودفنت عند قناطر السباع حيث المزار المشهور بالقاهرة ا هـ.
أقول: قد عرفت أخبار ولادتها مما تقدم وسيأتي خبر تزويجها وتحقيق حال أم كلثوم ووفاة زينب ومحل دفنها وغير ذلك من أحوالها وأحوال أختها صلوات الله عليهما في مطاوي كتابنا هذا، أما صاحب الناسخ فلم يخص زينب بمجلد من كتابه وكتاب الطراز المذهب هو لولده عباس قليخان المستوفي لا له.

وفي نساء العرب نوادر أمثالها ممن قمن في مساعدة الرجال وشاركنهم في تاريخهم المجيد وقد صحبت زينب أخاها في سفره الخطير صحبة من تقصد أن تشاطره في خدمة الدين وترويج أمره، فكانت تدبر بيمناها ضيافة الرجال وباليسرى حوائج الأطفال وذاك بنشاط لا يوصف، والمرأة قد تقوم بأعمال يعجز عنها الرجل ولكن ما دام منها القلب في ارتياح ونشاط أما لو تصدع قلبها أو جرحت منها العواطف فتراها زجاجة أو أرق وكسرها لا يجبر، ولذلك أوصى بهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: ارفق بالقوارير فجعلهن كزجاج القوارير يحتاج إلى لطف المداراة.

فكانت ابنة علي عليه السلام قائمة بمهمات رحل الحسين عليه السلام وأهله غير مبالية بما هناك من ضائقة عدو أو إحصار أو عطش إذ كانت تنظر في وجه الحسين عليه السلام تراه هشاً بشاً فتزداد به أملاً، وكلما ازداد الإنسان أملاً ازداد نشاطاً وعملاً، وإن في بشاشة وجه الرئيس أثراً في قوة آمال الأتباع ونشاط أعصابهم، غير أن زينب باغتت أخاها الحسين عليه السلام في خبائه ليلة مقتله فوجدته يصقل سيفاً له ويقول (يا دهر أف لك) إلى آخر الأبيات والمعنى، يا دهر كم لك من صاحب قتيل في ممر الإشراق والأصيل فأُف لك من خليل[1].

ذعرت زينب عند تمثل أخيها بهذه الأبيات وعرفت أن أخاها قد يئس من الحياة ومن الصلح مع الأعداء وأنه قتيل لا محالة وإذا قتل فمن يكون لها والعيال والصبية في عراء وغربة وألد الأعداء محيط بهم ومتربص لهم الدوائر، لهذه ولتلك صرخت أخت الحسين عليه السلام نادبة أخاها وتمثل لديها ما يجري عليها وعلى أهله ورحله بعد قتله وقالت:

---

(١) ستأتي هذه القضية في محلها وإنما نقلتها هنا استيناساً بعبارات هذا العلامة الكبير وتحليلاته الثمينة دامت معاليه.

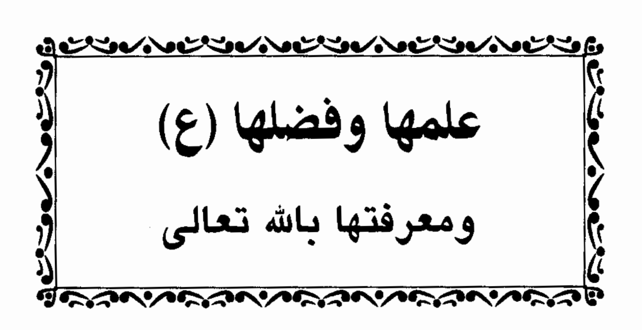
اليوم مات جدي وأبي وأمي وأخي، ثم خرت مغشية عليها إذ غابت عن نفسها ولم تعد تملك اختيارها فأخذ أخوها الحسين عليه السلام رأسها في حجره يرش على وجهها من مدامعه حتى أفاقت وسعد بصرها بنظرة من شقيقها الحسين عليه السلام وأخذ يسليها (وبعض التسلية تورية) فقال: يا أختاه إن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون فلا يبقى إلا وجهه وقد مات جدي وأبي وأمي وأخي وهم خير مني فلا يذهبن بحلمك الشيطان ولم يزل بها حتى أسكن بروحه روعها ونشف بطيب حديثه دمعها، ولكن في المقام سر مكتوم، فإن زينب تلك التي لم تستطع أن تسمع من نعي أخيها وهو حي كيف تجلدت في مذبح أخيها وأهلها بمشهد منها ورأت رأسه ورؤوسهم مرفوعة على القنا، وتلعب بها صبيان كالأكر، ينكت ابن زياد ويزيد ثنايا أخيها بين الملأ بالقضيب إلى غير ذلك من مصائب لا تطيق رؤيتها الأجانب، فضلاً عن أمس الأقارب، فليت شعري ما الذي حول ذلك القلب الرقيق إلى قلب أصلد وأصلب من الصخر الأصم، نعم كانت شقيقة الحسين عليه السلام أخته بتمام معاني الكلمة فلا غرو إن شاطرت سيدة الطف زينب أخاها الحسين عليه السلام في الكوارث وآلام الحوادث فقد شاطرته في شرف الأبوين ومواريث الوالدين خلقاً وخلقاً ومنطقاً، وعليه فإنها على رقة عواطفها وسرعة تأثرها تمكنت من تبديل حالتها والاستيلاء على نفسها بنفسها من حين ما أوحى إليها الحسين عليه السلام بأسرار نهضته وآثار حركته وأنه لا بد أن يتحمل أعباء الشهادة وما يتبعها من مصائب ومصاعب في سبيل الملة واحياء شريعة جده، وشعائر مجده لكنه سيار يطوي السرى إلى حد مصرعه في كربلاء، ثم لا بد وأن تنوب هي عن أخيها في انجاز مهمته، وابلاغ حجته، في تحمل الخطوب والقاء الخطب، ومكابدة الآلام من كربلاء إلى الكوفة، ثم إلى الشام، قائمة بوظيفته، محافظة على أسرار نهضته ناشرة لدعوته في كل أين وآن، منتهزة سوانح الفرص، وهو معها

أينما كانت يباريها، لكنه على عوالي الرماح خطيباً كما هي الخطيبة بلسان المقال انتهى.

وقال الفاضل العلامة الأجل المولى محمد حسن القزويني في كتابه المسمى برياض الأحزان وحدائق الأشجان: يستفاد من آثار أهل البيت جلالة شأن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام ووقارها وقرارها بما لا مزيد عليه حتى أوصى إليها أخوها عليه السلام ما أوصى قبل شهادته، وأنها من كمال معرفتها ووفور علمها وحسن أعراقها وطيب أخلاقها كانت تشبه أمها ست النساء فاطمة الزهراء عليها السلام في جميع ذلك، وفي الخفارة والحياء، وأباها في قوة القلب في الشدة، والثبات عند النائبات، والصبر على الملمات، والشجاعة الموروثة من صفاتها، والمهابة المأثورة من سماتها وقد يستند في جميع ما ذكرناه إلى ما رواه في كامل الزيارة من موعظتها لابن أخيها الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام حين المرور بمصارع الشهداء، ثم ساق حديث أم أيمن الآتي في الأخبار المروية عن زينب عليها السلام.

وقال محمد علي بن أحمد المصري في رسالته التي طبعها بمصر: السيدة زينب رضي الله تعالى عنها هي ابنة سيدي الإمام علي كرم الله وجهه وابنة السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي من أجل أهل البيت حسباً وأعلاهم نسباً، خيرة السيدات الطاهرات، ومن فضليات النساء، وجليلات العقائل، التي فاقت الفوارس في الشجاعة، واتخذت طول حياتها تقوى الله بضاعة، وكان لسانها الرطب بذكر الله على الظالمين عضباً، ولأهل الحق عيناً معيناً، كريمة الدارين، وشقيقة الحسنين بنت البتول الزهراء، التي فضلها الله على النساء وجعلها عند أهل العزم أم العزائم، وعند أهل الجود والكرم أم هاشم، (إلى أن قال) ولدت رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة النبوية أي قبل وفاة

جدها ﷺ بخمس سنين، فسر بمولدها أهل بيت النبوة أجمعين ونشأت نشأة حسنة كاملة فاضلة عالمة من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وكانت على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الأخلاق، ذات فصاحة وبلاغة يفيض من يدها عيون الجود والكرم، وقد جمعت بين جمال الطلعة وجمال الطوية حتى إنها اشتهرت في بيت النبوة، ولقبت بصاحبة الشورى، وكفاها فخراً أنها فرع من شجرة أهل بيت النبوة الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز (إلى آخر ما قال).



علمها وفضلها (ع)

ومعرفتها بالله تعالى

العلم من أفضل السجايا الإنسانية، وأشرف الصفات البشرية، به أكمل الله أنبيائه المرسلين، ورفع درجات عباده المخلصين، قال تعالى ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات**﴾[1] وقرن أهل العلم بنفسه وبملائكته في آية أُخرى فقال جل شأنه ﴿**شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[3] وإنما صار العلم بهذه المثابة لأنه يوصل صاحبه إلى معرفة الحقائق، ويكون سبباً لتوفيقه في نيل رضاء الخالق، ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً» وكان صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل بيته عليهم السلام يحثون الأمة على طلب العلم وكانوا يغذون أطفالهم العلم كما يغذونهم اللبن.

أما زينب المتربية في مدينة العلم النبوي، المعتكفة بعده ببابها

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

العلوي المتغذية بلبانه من أمها الصديقة الطاهرة سلام الله عليها، وقد طوت عمراً من الدهر مع الإمامين السبطين يزقانها العلم زقاً، فهي من عياب علم آل محمد عليهم السلام وعلب فضائلهم، التي اعترف بها عدوهم الألد (يزيد الطاغية) بقوله في الإمام السجاد عليه السلام : (إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً)، وقد نص لها بهذه الكلمة ابن أخيها علي بن الحسين عليه السلام (أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة) يريد أن مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع، أفيض عليها إلهاماً لا بتخرج على أستاذ، وأخذ عن مشيخة وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذيبات جدها وأبيها وأمها وأخويها أو لمحض انتمائها إليهم واتحادها معهم في الطينة المكهربين لذاتها القدسية فأزيحت عنها بذلك الموانع المادية وبقي مقتضى اللطف الفياض وحده وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لافاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة فأفيض عليها بأجمعه إلا ما اختص به أئمة الدين عليهم السلام من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى.

على أن هنالك مرتبة سامية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وهي الرتبة الحاصلة من الرياضات الشرعية والعبادات الجامعة لشرائط الحقيقة لا محض الظاهر الموفي لمقام الصحة والإجزاء فإن لها من الآثار الكشفية ما لا نهاية لأمدها، وفي الحديث: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» ولا شك أن زينب الطاهرة قد أخلصت لله كل عمرها، فماذا تحسب أن يكون المنفجر من قلبها على لسانها من ينابيع الحكمة، وما أحلى كلمة قالها علي جلال في كتابه (الحسين) من كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلمه ومن كان أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه فاطمة الزهراء، ناشئاً في أصحاب جده وأصدقاء أبيه سادات الأمة، وقدوة الأئمة، فلا شك أنه كان يغر العلم غراً كما قال ابن عمر.

وفي كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور قال: حدثني أحمد بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال: كانت زينب بنت علي عليه السلام تقول: من أراد أن لا يكون الخلق شفعاءه إلى الله فليحمده ألم تسمع إلى قولهم سمع الله لمن حمده فخف الله لقدرته عليك واستح منه لقربه منك.

وعن الصدوق محمد بن بابويه طاب ثراه كانت زينب عليها السلام لها نيابة خاصة عن الحسين عليه السلام وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برىء زين العابدين عليه السلام من مرضه.

وقال الطبرسي إن زينب عليها السلام روت أخباراً عن أُمها الزهراء عليها السلام.

وعن عماد المحدثين: إن زينب الكبرى كانت تروي عن أمها وأبيها وأخويها وعن أم سلمة وأم هاني وغيرهما من النساء، وممن روى عنها ابن عباس وعلي بن الحسين وعبد الله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين الصغرى وغيرهم.

وقال أبو الفرج: زينب العقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة صلى الله عليها في فدك، فقال: حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي عليه السلام وتفسير العقيلة في النساء السيدة كعقال في الرجال يقال للسيد.

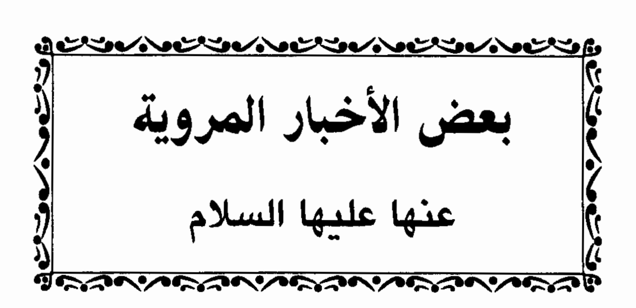
وروي مرسلاً: أنها في طفولتها كانت جالسة في حجر أبيها وهو عليه السلام يلاطفها بالكلام فقال لها يابنتي قولي واحد فقالت واحد، فقال لها قولي اثنين فسكتت، فقال لها تكلمي يا قرة عيني، فقالت عليها السلام يا أبتاه ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد فضمها صلوات الله عليه إلى صدره وقبلها بين عينيها انتهى.

ولكن الذي رأيته في كتاب مصابيح القلوب للشيخ الأجل الشيخ أبي سعيد الحسن بن الحسين السبزواري المعاصر للشهيد الأول رحمه الله إن هذا السؤال من أمير المؤمنين عليه السلام كان لولده العباس عليه السلام وإنه لما سكت قال أمير المؤمنين لم لم تقل اثنين فقال إني لأستحي أن أقول واحد ثم أقول اثنين، ففرح أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام وقبله بين عينيه، وإن زينب عليها السلام قالت لأبيها أتحبنا يا أبتاه فقال عليه السلام وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي، فقالت عليها السلام : يا أبتاه إن الحب لله تعالى والشفقة لنا، وهذا الكلام عنها عليها السلام روي متواتراً، وإذا تأمله المتأمل رأى فيه علماً جماً فإذا عرف صدوره من طفلة كزينب عليها السلام يوم ذاك بانت له منزلتها في العلم والمعرفة.

ويظهر من الفاضل الدربندي وغيره أنها كانت تعلم علم المنايا والبلايا كجملة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، منهم ميثم التمار ورشيد الهجري، وغيرهما، بل جزم في أسراره أنها صلوات الله عليها أفضل من مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء، وذكر قدس سره عند كلام السجاد عليه السلام لها عليها السلام : يا عمة أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة أن هذا الكلام حجة على أن زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام كانت محدثة أي ملهمة وأن علمها كان من العلوم اللدنية والآثار الباطنية. ومن نظر في أسرار الشهادة رأى فيه من الاستنباطات والتحقيقات في حق زينب صلوات الله عليها ما هو أكثر مما ذكرناه.

وقال العلامة الفاضل السيد نور الدين الجزائري في كتابه الفارسي المسمى بالخصائص الزينبية، ما ترجمته عن بعض الكتب إن زينب عليها السلام كان لها مجلس في بيتها أيام اقامة أبيها عليه السلام في الكوفة، وكانت تفسر القرآن للنساء ففي بعض الأيام كانت تفسر كهيعص

إذ دخل أمير المؤمنين عليه السلام عليها فقال لها يا نور عيني سمعتك تفسرين كهيعص للنساء فقالت نعم، فقال عليه السلام هذا رمز لمصيبة تصيبكم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم شرح لها المصائب عليه السلام فبكت بكاء عالياً صلوات الله عليها.



بعض الأخبار المروية

عنها عليها السلام

أشهر ما روي عنها من الأخبار خطبة والدتها الزهراء عليها السلام التي احتجت بها في خصوص فدك، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج عند شرح قوله عليه السلام: بلى كانت في أيدينا فدك إلخ، إنا نتكلم في شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول (إلى أن قال) الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم لأنا مشترطون على أنفسنا أن لا نحفل بذلك، ثم قال وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك.

قال: وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته، ثم سرد الأسانيد ومن جملتها، قال أبو بكر: حدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي عن الحسين بن صالح بن حي، قال: حدثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام وساق الكلام إلى أن ذكر الخطبة. وقال

المجلسي في البحار بعد نقله كلام ابن أبي الحديد وذكره أسانيد أُخر للخطبة، وروى الصدوق رحمه الله بعض فقراتها المتعلقة بالعلل في علل الشرائع عن ابن المتوكل عن السعد آبادي عن البرقي عن إسماعيل بن مهران عن أحمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت علي عليه السلام، قال: وأخبرني علي بن حاتم عن محمد بن أسلم عن عبد الجليل الباقطاني عن الحسن بن موسى الخشاب عن عبد الله بن محمد العلوي عن رجال من أهل بيته عن زينب بنت علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام بمثله، وأخبرني علي بن حاتم عن ابن أبي عمير عن محمد بن عمارة عن محمد بن إبراهيم المصري عن هارون بن يحيى عن عبيد الله بن موسى العبسي عن حفص الأحمر عن زيد ابن علي عن عمته زينب بنت علي عن فاطمة عليها السلام وزاد بعضهم على بعض في اللفظ.

أقول: وقد مر كلام أبي الفرج الأصبهاني أن ابن عباس روى هذه الخطبة عن زينب بنت أمير المؤمنين.

ومن الأخبار المروية عنها صلوات الله عليها ما روي عن نور الدين محمد بن المرتضى بإسناده عن أم كلثوم زينب بنت علي عليها السلام أنها قالت كان آخر عهد أبي إلى أخوي عليهما السلام أنه قال لهما: يابنيَّ إذا أنا مُت فغسلاني ثم نشفاني بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة وحنطاني وسجياني على سريري، ثم انظرا حتى إذا ارتفع لكما مقدم السرير فاحملا مؤخره، قالت: فخرجت أُشيع جنازة أبي حتى إذا كنا بظهر الكوفة وقدمنا بظهر الغري ركز المقدم فوضعنا المؤخر، ثم برز الحسن مرتدياً بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة وأمير المؤمنين عليه السلام، ثم أخذ المعول فضرب ضربة فانشق القبر عن ضريح فاذا هو بساجه مكتوب عليها سطران بالسريانية بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر حفره نوح النبي العلي وصي محمد قبل الطوفان بسبعمائة عام

قالت عليها السلام فانشق القبر فلا أدري أغاب سيدي في الأرض أم أسري به إلى السماء إذ سمعت ناطقاً لنا بالتعزية وهو يقول: أحسن الله لكم العزاء في سيدكم وحجة الله على خلقه.

ومن الأخبار ما رواه الخزاز في كفاية الأثر بإسناده عن زينب عليها السلام عن أمها فاطمة عليها السلام وذكرت قصة ولادة الحسين عليه السلام.

ومن ذلك ما في كتاب الورع لأحمد بن حنبل المطبوع بمصر حديثاً عن عطاء بن السائب، قال: حدثتني أم كلثوم ابنة علي هي زينب عليها السلام إذا أطلقت في لسان المحدثين وإذا أريد غيرها قيدوا الاسم بالوسطى أو الصغرى، قال: أتيتها بصدقة كان أمر بها قالت احذر شباننا فإن ميموناً أو مهران أخبرني أنه مر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ميمون أو يا مهران إنا أهل بيت نهينا عن الصدقة وإن موالينا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة.

ومن ذلك ما روي عن كتاب ثاقب المناقب لعماد الدين محمد بن علي الطوسي طاب ثراه، قال: عن زينب بنت علي عليها السلام قالت: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر ثم أقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هل عندكم طعام؟ فقال: لم آكل منذ ثلاثة أيام طعاماً وما تركت في بيتنا طعاماً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم سر بنا إلى فاطمة فلما دخلا على فاطمة نظر إليها وقد أخذها الضعف من الجوع وحولها الحسنان عليهما السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة فداك أبوك هل عندك شيء من الطعام؟ فاستحيت فاطمة أن تقول لا، فقالت: نعم وقامت واستقبلت القبلة لتصلي ركعتين فأحست بحسيس فالتفتت وإذا بصحفة ملأى ثريداً ولحماً فأتت بها ووضعتها بين يدي أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلي والحسن والحسين ونظر علي عليه السلام إلى فاطمة متعجباً وقال: يا بنت رسول الله أنى لك هذا، فقالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء

بغير حساب، فضحك النبي ﷺ وقال: الحمد لله الذي جعل في أهلي نظير زكريا ومريم إذ قال لها **﴿أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**(1) وبينما هم مشغولون بالأكل وإذا بسائل بالباب يقول: السلام عليكم يا أهل البيت أطعموني مما تأكلون فقال النبي ﷺ اخسأ اخسأ فقال علي عليه السلام من هذا يا رسول الله فقال ﷺ هو إبليس لعنه الله علم أن هذا من طعام الجنة أتانا بصورة سائل ليتناول من هذا الطعام، وبعد أن أكل رسول الله ﷺ وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وشبعوا ارتفعت الصحفة إلى السماء(2)

ومن ذلك ما رواه الشيخ أحمد زين الدين الاحسائي في بعض مجاميعه عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة الصغرى عن أبيها الحسين عليه السلام وعمتها بنت أمير المؤمنين عليه السلام إن فاطمة عليها السلام قامت في محرابها في جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(2) حديث الجفنة أو الصحفة أو نزول المائدة من السماء لفاطمة في بيتها روي بطرق عديدة، والظاهر أن هذه المائدة تكررت لفاطمة صلوات الله عليها، وقد روى المجلسي رحمه الله في البحار جملة من الأحاديث في ذلك منها ما نقله عن الخرائج روي أن علياً (ع) أصبح يوماً فقال لفاطمة هل عندك شيء تغذينيه قالت لا فخرج واستقرض ديناراً ليبتاع لأهله ما يصلحهم فإذا المقداد في جهد وعياله جياع فأعطاه الدينار ودخل المسجد وصلى الظهر والعصر مع رسول الله (ع)، ثم أخذ النبي (ص) بيد علي وانطلقا إلى فاطمة وهي في مصلاها وخلفها جفنة تفور فلما سمعت كلام رسول الله (ص) خرجت فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: عشينا غفر الله لك (وقد فعل) فوضعتها بين يدي رسول الله (ص) قال يا فاطمة أنى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قط ولم أشم مثل رائحته قط وآكل أطيب منه، قال علي (ع) ووضع كفه بين كتفي وقال (ص): يا علي هذا بدل عن دينارك إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ونقل عن الكشاف مثله عند قصة زكريا ومريم بتغيير يسير، ثم قال: وبقي الطعام كما هو بعد أكلهم وجميع أهل البيت وأوسعت فاطمة على جيرانها.

وكانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقال لها الحسين عليه السلام ألا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك فقالت الجار ثم الدار.

ومن ذلك ما روي في كامل الزيارة للشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه طاب ثراه، قال: حدثني أبو عيسى عبيدالله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري، قال: حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سلام بن يسار الكوفي، قال: حدثني أحمد بن محمد الواسطي قال حدثني عيسى بن أبي شيبة القاضي، قال حدثني نوح بن دراج، قال: حدثني قدامة بن زائدة عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً، فقلت: إن ذلك لكما بلغك، فقال لي ولماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا، فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إن ذلك لكذلك، فقلت والله إن ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً فقال أبشر ثم أبشر ثم أبشر فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون، فإنه لما أصابنا في الطف ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده واخوته وسائر أهله وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي واخوتي، فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي واخوتي وعمومتي وولد عمي مصرعين بدمائهم مرملين بالعراء مسلبين لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من

الديلم والخزر، فقالت: لا يجزعنك ماترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدك وأبيك وعمك ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً، فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر، فقالت: نعم حدثتني أم أيمن[١] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام فعملت له حريرة وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن فأتيتهم بعُس[٢] فيه لبن وزبد فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين من تلك الحريرة وشرب رسول الله وشربوا من ذلك اللبن ثم أكلوا وأكل من ذلك التمر والزبد ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده وعلي عليه السلام يصب عليها الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً ثم إنه وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ثم خر ساجداً وهو ينشج[٣] فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وحزنت معهم لما رأينا

---

(١) أم أيمن كانت مولاة النبي وحاضنته وقد شهد لها صلى الله عليه وآله بأنها امرأة من أهل الجنة اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، تزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج فولدت له أيمن واستشهد يوم خيبر، فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد، وكانت وفاتها في خلافة عثمان وصلى عليها أمير المؤمنين عليه السلام ودفنت في البقيع.

(٢) العس بضم العين القدح الكبير.

(٣) النشيج الصوت مع توجع وبكاء، والنحيب البكاء بصوت طويل.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له علي عليه السلام وقالت له فاطمة عليها السلام ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أخي سررت بكم (وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ههنا) فقال: يا حبيبي إني سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته علي فيكم إذ هبط عليَّ جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهنّاك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم يحبون كما تحب ويعطون كما تعطي حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أُناس ينتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أُمتك برآء من الله ومنك خبطاً[1] خبطا وقتلا شتى مصارعهم نائية قبورهم خيرة من الله لهم ولك فيهم فاحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال لي جبرائيل يا محمد إن أخاك مضطهد[2] بعدك مغلوب على أُمتك متعوب من أعدائك ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته وهو مغرس[3] شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم، وإن سبطك هذا وأومى بيده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلا من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في

---

(١) خبط خبطاً يقال خبطه خبطاً أي ضربه ضرباً شديداً.

(٢) مضطهد يقال ضهدته فهو مضهود ومضطهد أي مقهور، وطاؤها بدل من تاء الافتعال.

(٣) مغرس شيعته أي منبتهم.

اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة يقتل فيها سبطك وأهله وإنها من بطحاء الجنة، فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السموات بأهلها، غضباً لك يا محمد ولذريتك، واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما تُكافأ به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله إلى السموات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن، إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر[1] رسولي وصفيي وانتهك حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته عذاباً لا أُعذبه أحداً من العالمين.

فعند ذلك يضج كل شيء في السموات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلت الملائكة صفاً صفاً عليهم، ثم يبعث الله قوماً من أُمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية، فيوارون أجسامهم ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز

---

(١) وتره أي جعل له وتراً عنده فهو موتور، والموتور هو الذي قتل له قتيل فلم يدرك دمه، ومنه الحديث أنا الموتور أي صاحب الوتر الطالب بالثأر.

وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ويصلون عليه ويطوفون حوله ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لمن زاره ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أُمتك متقرباً إلى الله تعالى وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم ويوسمون في وجوههم بميسم[١] نور عرش الله، هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدل عليهم ويعرفون به وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل وعلي أمامنا ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عز وجل، وسيجتهد أُناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً، ثم قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب عليها السلام: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت عليه أثر الموت منه قلت له يا أبة حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن[٢] وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً صبراً فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذٍ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر إن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته فيقول يا معاشر

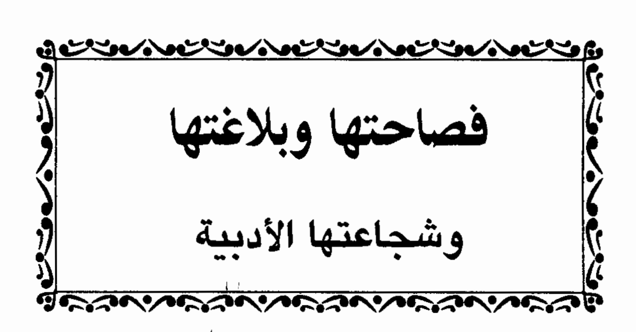
---

(١) الميسم بالكسر اسم الآلة التي يكون بها الوسم أي العلامة، وأصله الواو وجمعه مياسم ومواسم الأولى على اللفظ والثانية على الأصل.

(٢) أي صدقت أم أيمن فيما حدثتك به، ثم شرح (ع) لها ما يجري عليها.

الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم واغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم ابليس وهو كذوب أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر (قال زائدة) ثم قال علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل[1] حولاً لكان قليلاً.

(١) ضرب آباط الابل كناية عن الركض والإستعجال فإن المستعجل يضرب برجليه آباط الإبل لتعدو به.



فصاحتها وبلاغتها

وشجاعتها الأدبية

الفصاحة هي الإبانة والظهور يقال: كاتب فصيح وشاعر فصيح والبلاغة هي الوصول والانتهاء يقال: كلام بليغ وإنسان بليغ ويجمعهما حسن الكلام.

قال أبو هلال العسكري: إنما يحسن الكلام بسلاسته وسهولته، وتخير لفظه، واصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشبه اعجازه بهواديه، وموافقة مآخره لمباديه فتجد المنظوم مثل المنثور، في سهولة مطلعه، وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه، وكمال صوغه وتركيبه، ومتى جمع الكلام بين العذوبة والجزالة، والسهولة والرصانة، والرونق والطلاوة، وسلم من حيف التأليف وبعد من سماجة التركيب، ورد على الفهم الثاقب فقبله ولم يرده، وعلى السمع المصيب فاستوعبه ولم يمجه، والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، والفهم يأنس بالمعروف، ويسكن إلى المألوف، ويصغي إلى الصواب، ويهرب من المحال، وليس الشأن في ايراد المعاني، فالمعاني يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي،

وإنما هو جودة اللفظ وصفاؤه وحسنه وبهاؤه ونزاهته ونقاؤه، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً مستقيماً، أما اللفظ فلا يقنع به قانع حتى يكون على ما وصفناه.

قلت: وهذا الذي ذكره لا ينطبق كل الانطباق إلا على كلام سيد الفصحاء، وإمام البلغاء، أمير المؤمنين عليه السلام، الذي قيل فيه كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وشاهدي على ما أقول هو كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي رضي الله عنه من كلامه عليه السلام ويعجبني أن أنقل كلمة العلامة الشيخ محمد عبده فيه فإنها كلمة ثمينة لا يمكنني الإعراض عنها، قال: أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة صدفة بلا تعمد، أصبته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية، فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات، وكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وأن للأوهام عرامة، وللريب دعارة، وأن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام، وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج، والقويم الأملج، وتملج المهج، بروائع الحجج، وتفل دعارة الوساوس، وتصيب مقاتل الخوانس، فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وإن مدير تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع، أُحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية توحي إليها رشادها وتقوم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزال، إلى جواد الفضل والكمال، وطوراً كانت تنكشف لي الجمل عن

وجوه باسرة، وأنياب كاشرة، وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور، وقد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب، فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء، وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً، لا يشبه خلقاً جسدانياً، فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني فخلعه من غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب، ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طريق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرياسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير[1] اهـ.

إذا عرفت هذه المقدمات فاعلم أن هذه الفصاحة العلوية والبلاغة المرتضوية، قد ورثتها هذه المخدرة الكريمة، بشهادة العرب أهل البلاغة والفصاحة أنفسهم، فقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم.

عن حذيم بن شريك، قال: قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين عليه السلام من كربلاء ومعهم الأجناد يحيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء، وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن فسمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه، إن هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا، قال ورأيت زينب بنت علي عليها السلام ولم أر خفرة أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير

---

(١) نهج البلاغة ص ١٩ ط الأعلمي من مقدمة للشيخ محمد عبده.

المؤمنين عليه السلام قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات.

فقالت: الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختر[1] والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم[2] كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون إيمانكم دخلاً[3] بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف[4] والنطف[5] والكذب والشنف[6]، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة[7] أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون، إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدره سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً. فلقد خاب السعي، وبتت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، ولقد جئتم بها صلعاء

---

(١) الختر بالتحريك الغدر والخديعة أو أقبح الغدر.

(٢) أي لا تكونوا كالتي غزلت ثم نقضت غزلها، يقال كانت امرأة حمقاء تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها.

(٣) أي خيانة ومكراً.

(٤) الصلف الادعاء تكبراً.

(٥) النطف التلطخ بالعيب.

(٦) الشنف بالتحريك البغض والتنكر.

(٧) الدمنة ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها.

عنقاء[1] سوداء فقماء، خرقاء شوهاء كطلاع[2] الأرض، أو ملاء السماء أفعجبتم أن مطرت السماء دماً. ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه[3] البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد.

قال الراوي فوالله لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع، وهو يقول: بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير النسل، لا يخزى[4] ولا يبزى.

أقول: وهذا حذيم بن شريك من فصحاء العرب أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها وأخذته الدهشة من براعتها وشجاعتها الأدبية،

---

(١) الصلعاء الداهية، وما بعدها صفات لها في القبح والشدة.

(٢) طلاع الأرض: ملؤها.

(٣) الحفز الحث والاعجال.

(٤) لا يبزى أي لا يغلب ولا يقهر، وقد فهم من قولها أفعجبتم أن مطرت السماء دماً أن القوم لما رأوا قطرات الدم النازلة من السماء يوم قتل الحسين (ع) كانوا يتعجبون من ذلك ولم يلتفتوا إلى فعلتهم الشنعاء، ففي كامل الزيارة عن حكيم بن داود بن حكيم عن سلمة بن الخطاب عن محمد بن أبي عمير عن الحسين بن عيسى عن أسلم بن القاسم، قال أخبرنا عمرو بن وهب عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: إن السماء لم تبك منذ وضعت إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهم السلام، قلت: أي شيء كان بكاؤها قال كانت إذا استقبلت بثوب وقع على الثوب شبه أثر البراغيث من الدم.

وفي ينابيع المودة عن أبي سعيد الخدري ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط، ولقد أمطرت السماء دماً وبقي أثره في الثياب حتى تقطعت.

وقال فيه أخرج الثعلبي وأبو نعيم أنه أمطرت السماء دماً، وزاد أبو نعيم فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

قال وفي رواية أن السماء أمطرت الدم على البيوت والجدران بخراسان والشام والعراق.

حتى إنه لم يتمكن أن يشبهها إلاّ بأبيها سيد البلغاء والفصحاء، فقال: كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين، وهذه الخطبة رواها كل من كتب في وقعة الطف أو في أحوال الحسين عليه السلام ورواها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن خزيمة الأسدي، قال: ورأيت نساء الكوفة يومئذٍ قياماً يندبن متهتكات الجيوب، ورواها أيضاً أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في بلاغات النساء وأبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي في الجزء الثاني من كتابه مقتل الحسين عليه السلام، وشيخ الطائفة في أماليه وغيرهم من أكابر العلماء.

ومن بلاغتها وشجاعتها الأدبية ما ظهر منها عليها السلام في مجلس ابن زياد، قال السيد ابن طاوس وغيره ممن كتب في مقتل الحسين عليه السلام: إن ابن زياد جلس في القصر وأذن إذناً عاماً وجيء برأس الحسين عليه السلام: فوضع بين يديه وأُدخلت عليه نساء الحسين وصبيانه[1] وجاءت زينب ابنة علي عليه السلام وجلست متنكرة فسأل ابن زياد من هذه المتنكرة، فقيل له هذه زينب ابنة علي، فأقبل عليها فقال: الحمد لله الذي فضحكم، وأكذب أحدوثتكم[2]، فقالت عليها السلام: إنما يفتضح

---

(١) في رواية المفيد (ره) فأدخل عيال الحسين بن علي (ع) على ابن زياد فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها ومضت حتى جلست ناحية وحفت بها إماؤها، فقال ابن زياد لعنه الله: من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية يسأل عنها، فقالت له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (ص) فأقبل عليها ابن زياد فقال لها (الخ).

(٢) يريد بالأحدوثة دين جدها رسول الله (ص) وكانت في ابن زياد لكنة أعجمية يبدل الحاء هاء، قال الجاحظ كانت اللكنة فيه لأنه نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة، وكان زياد تزوجها من شيرويه الأسواري وقال مرة افتحوا سيوفكم يريد سلوا سيوفكم، فقال يزيد بن مفرغ:

ويوم فتحت سيفك من بعيد　　أضعت وكل أمرك للضياع

وفي المعارف لابن قتيبة كانت في ابن زياد لكنة، وفي كامل المبرد كان ابن زياد ألكن يرتضخ لغة فارسية، وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج أهروري منذ اليوم

الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا، فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك. فقالت: ما رأيت إلاّ خيراً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمك يابن مرجانة فغضب اللعين وهم أن يضربها، فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال لها ابن زياد لعنه الله: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي فإن كان هذا شفاءك فلقد اشتفيت، فقال لعنه الله: هذه سجّاعة ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً، فقالت: يابن زياد ما للمرأة والسجاعة وإن لي عن السجاعة لشغلاً.

ومن ذلك خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية في الشام[1] رواها جماعة من العلماء في مصنفاتهم وهي من أبلغ الخطب وأفصحها عليها أنوار الخطب العلوية، وأسرار الخطبة الفاطمية[2]، ونحن ننقلها هنا من الاحتجاج للطبرسي.

قال: روى شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من الناس أنه لما دخل علي بن الحسين عليه السلام وحرمه على يزيد وجيء برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طشت وجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده وهو يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[3]

يريد أحروري.

(١) رواها أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في كتابه بلاغات النساء والخوارزمي في المقتل.

(٢) المراد بها خطبة فدك التي قدمنا أسانيدها عنها.

(٣) الأبيات كاملة في كتاب الاحتجاج للطبرسي ص ٣٠٧ ط الأعلمي.

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول **﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾**[1] أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك تضرب أصدريك[2] فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[3] والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً[4] مهلاً أنسيت قول الله تعالى **﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم أنما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين﴾**[5] أمن العدل يابن الطلقاء[6] تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأزكياء

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.

(٢) تضرب أصدريك: أي منكبيك، وتنفض مذرويك، المذروان جانبا الإليتين ولا واحد لهما، وقيل: هما طرفا كل شيء، يقال جاء فلان ينفض مذرويه إذا جاء باغياً يتهدد، وكذلك إذا جاء فارغاً في غير شغل.

(٣) مستوسقة: أي مجتمعة. ومتسقة أيضاً منتظمة.

(٤) يقال مهلاً يا رجل وكذا للأنثى والجمع بمعنى أمهل، والمهلة بالضم السكينة وكذا المهل بالسكون والحركة.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٦) الطلقاء: هم أبو سفيان ومعاوية وبقية الأمويين الذين أطلقهم رسول الله (ص) يوم الفتح فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء، وبهذا صاروا عبيداً لرسول الله (ص) هم وذريتهم إلى يوم القيامة.

ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والاضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم يهتف بأشياخه:

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك[1] وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة[2] واستأصلت الشأفة[3] بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً[4] موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دمائنا، وقتل حماتنا، فوالله يا يزيد ما فريت[5] إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**[6] وحسبك بالله حاكماً وبمحمد ﷺ خصيماً وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سول لك وأمكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً، ولئن

---

(١) المخصرة: بكسر الميم كالسوط وكلما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصى ونحوها، وكانت الخلفاء تحمل هذه المخصرة.

(٢) نكأت القرحة: بالهمزة من باب منع كثر جراحها.

(٣) استأصلت الشأفة: استأصل الشيء إذا قطعه من أصله، قال في القاموس الشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب، وإذا قطعت مات صاحبها والأصل استأصل الله شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة أو أزاله من أصله.

(٤) وشيكاً: أي سريعاً.

(٥) الفري: القطع.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

جرت علي الدواهي[1] مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف[2] من دمائنا، والأفواه تتحلب[3] من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل[4] وتعفرها أمهات الفراعل[5] ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلاَّ فند[6] وأيامك إلاَّ عدد، وجمعك إلاَّ بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح[7]

---

(١) الدواهي: جمع داهية وهي النازلة بالإنسان من بلاء وغيره، ومخاطبتك إما بالرفع فاعل جرت أي إن أوقعت مخاطبتك علي النوازل فلست أُبالي بك ولا أعظم قدرك، أو بالنصب مفعول والفاعل الدواهي أي إن أوقعتني دواهي الزمان إلى الاحتياج لمخاطبتك فلست معظمة لقدرك.

(٢) تنطف: بكسر الطاء وضمها أي تقطر.

(٣) في القاموس تحلب عينه وفوه أي سالا.

(٤) العواسل: الذئاب السريعة العدو.

(٥) أُمهات الفراعل: الضباع جمع فرعل وهو ولد الضبع.

(٦) الفند الكذب، وهو بالتحريك «قيل» ويقال لضعف الرأي الفند أيضاً.

(٧) قوله يا صيحة تحمد (الخ) ليس هذا جواب مثل الخطبة الغراء الفريدة ومثل يزيد الذي يقال عنه إنه كان من رجال الفصاحة والبلاغة وإنه قال الشعر وهو ابن سبع سنوات لا يخفى عليه ذلك لكن الخطبة الكريمة ألجمته بأسلوبها البليغ، وبيانها

ومن شجاعتها الأدبية في مجلس يزيد ما نقله أرباب المقاتل وغيرهم من رواة الأخبار أن يزيد لعنه الله دعا بنساء أهل البيت والصبيان فأجلسوا بين يديه في مجلسه المشؤوم، فنظر شامي إلى فاطمة بنت الحسين فقام إلى يزيد وقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية تكون خادمة عندي، قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: فارتعدت فرائصي وظننت أن ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمتي زينب فقلت عمتاه أُوتمت وأُستخدم، فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمت ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك، فغضب يزيد وقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فاستطار يزيد غضباً، وقال: إياي تستقبلين بهذا الكلام، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب بدين أبي وأخي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً، فقال: كذبت يا عدوة الله، قالت: يا يزيد أنت أمير تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك فكأنه استحيى وسكت، فأعاد الشامي كلامه، هب لي هذه الجارية فقال له يزيد اسكت وهب الله لك حتفاً قاضياً.

وروى السيد ابن طاوس في اللهوف هذه الرواية كما يأتي، قال نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها زينب عليها السلام أُوتمت وأُستخدم فقالت زينب عليها السلام: لا ولا كرامة لهذا الفاسق، فقال الشامي من هذه الجارية، فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين عليه السلام[1]

الآخذ بالألباب، فلم يكن قادراً على أن يجيبها بشيء سوى هذا البيت الذي وصف الحالة ليس غير.

(١) فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام هي من عالمات نساء أهل البيت عليهم السلام. تروي الحديث عن أبيها وعن أم سلمة وأم هاني وعن عمتها زينب الكبرى وعن أخيها زين العابدين، ويروي عنها ولدها عبد الله وغيره، استودعها أبوها =

وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب، فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب قال نعم، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم، فقال يزيد لألحقنك بهم ثم أمر به فضربت عنقه، والذي يظهر أن هاتين القضيتين كلتيهما وقعتا في ذلك المجلس المشؤوم.

أقول: إن بلاغة زينب عليها السلام وشجاعتها الأدبية ليس من الأمور الخفية وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة كربلاء، ونوه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ، ولعمري إن من كان أبوها علي بن أبي طالب الذي ملأت خطبه العالم، وتصدى لجمعها وتدوينها أكابر العلماء وأمها فاطمة الزهراء صاحبة خطبة فدك الكبرى، وصاحبة الخطبة الصغرى التي ألقتها على مسامع نساء قريش ونقلها النساء لرجالهن، نعم إن من كانت كذلك فحرية بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأدبية، والجسارة العلوية، ويزيد الطاغية يوم ذاك هو السلطان الأعظم والخليفة الظاهري على عامة بلاد الإسلام تؤدي له الجزية الفرق المختلفة والأمم المتباينة في مجلسه الذي أظهر فيه أبهة الملك وملأه بهيبة السلطان، وقد جردت على رأسه السيوف، واصطفت حوله الجلاوزة وهو وأتباعه على كراسي الذهب والفضة، وتحت أرجلهم الفرش من الديباج والحرير، وهي صلوات الله عليها في ذلة الأسر دامية القلب باكية الطرف، حرى الفؤاد، من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث

= الحسين (ع) مواريث الأنبياء وسلمتها إلى السجاد بعد برئه من المرض، وكأن الله عز وجل صرف عن هذه المواريث أبصار الظالمين، وأُم فاطمة هذه أُم اسحاق بنت طلحة، وفي الخبر أن الحسن بن الحسن (ع) سأل عمه الحسين (ع) أن يزوجه إحدى ابنتيه فاختار له الحسين (ع) فاطمة هذه وقال له: هي أكثر شبهاً بأُمي فاطمة بنت رسول الله (ع) وخطبتها (ع) في الكوفة تنبىء أنها كانت على جانب عظيم من العلم والفضل، وفي بعض الأخبار أنها كانت عندها أشياء من آثار رسول الله (ص) توفيت في المدينة على الأصح، وقيل بمصر.

القاتلة، قد أحاط بها أعداؤها من كل جهة ودار عليها حسادها من كل صوب، ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق، وللفضيلة بالفضيلة فتقول ليزيد غير مكترثة بهيبة ملكه، ولا معتنية بأبهة سلطانه (أمن العدل يابن الطلقاء) وتقول له أيضاً (ولئن جرت عليَّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك) فهذا الموقف الرهيب الذي وقفت به هذه السيدة الطاهرة مثل الحق تمثيلاً وأضاء إلى الحقيقة لطلابها سبيلاً، وأفحمت يزيد ومن حواه مجلسه المشؤوم بذلك الأسلوب العالي من البلاغة، وأبهتت العارفين منهم بما أخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة، فخرست الألسن، وكمت الأفواه، وصمت الآذان وكهربت تلك النفس النورانية الطاهرة منها عليها السلام تلك النفوس الخبيثة الرذيلة من يزيد وأتباعه بكهرباء الحق والفضيلة حتى بلغ به الحال أنه صبر على تكفيره وتكفير أتباعه ولم يتمكن من أن ينبس ببنت شفة، يقطع كلامها أو يمنعها من الاستمرار في خطابتها، وهذا هو التصرف الذي يتصرف به أرباب الولاية متى شاءوا وأرادوا بمعونة الباري تعالى لهم واعطائهم القدرة على ذلك، وما أبدع ما قاله الشاعر المفلق الجليل السيد مهدي ابن السيد داود الحلي عم الشاعر الشهير السيد حيدر الحلي رحمهما الله في وصف فصاحتها وبلاغتها من قصيدة:

قد أسروا من خصها بآية الـ	ـتطهير رب العرش في كتابه
إن ألبست في الأسر ثوب ذلة	تجملت للعز في أثوابه
ما خطبت إلا رأوا لسانها	أمضى من الصمصام في خطابه
وجلببت في أسرها آسرها	عاراً رأى الصغار في جلبابه
والفصحاء شاهدوا كلامها	مقال خير الرسل في صوابه

زهدها في الدنيا ونعيمها وقناعتها

الزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه، وزهد الإنسان في الشيء أي تركه فهو زاهد.

قال الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار: الزاهد من يحب ما يحب خالقه ويبغض ما يبغضه خالقه ويتحرج من حلال الدنيا ولا يلتفت إلى حرامها.

وقال بعض الأعلام: الزهد يحصل بترك ثلاثة أشياء: ترك الزينة، وترك الهوى، وترك الدنيا، فالزاء علامة الأول، والهاء علامة الثاني، والدال علامة الثالث، والقناعة: الرضا بالقسمة فهي تلازم الزهد دائماً أو هما واحد بلسان الأخبار.

الزهد من أعلى مقامات السالكين، ومن أظهر صفات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، به ينال الإنسان الدرجات الرفيعة وبه يصل إلى المراتب العالية.

وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال[1]: من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا.

---

(١) وهج الفصاحة في أدب النبي (ص) باب الحكم حرف الألف.

وعنه ﷺ: من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه، فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام.

وعنه ﷺ: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما بأيدي الناس يحبك الناس.

وعنه ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصره عيوبها، ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة.

فالزهد من الصفات الكريمة التي خص الله بها المخلصين من عباده، وجعلها سبباً للتقرب إلى حوزة قدسه، ولذلك كان نبينا الهادي والأئمة المعصومون من أهل بيته عليهم السلام على جانب عظيم من هذه الصفة الحميدة، أما النبي ﷺ فقد أتاه جبرئيل عليه السلام بمفاتيح كنوز الدنيا، وقال له: خذها ولا ينقص من حظك عند ربك شيء، فردها إليه ورفع رأسه إلى السماء، فقال: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك.

وبلغ من زهده ﷺ أنه كان يشد حجر المجاعة على بطنه.

وأما أمير المؤمنين عليه السلام فكان وهو خليفة المسلمين يرقع مدرعته عند الخياط حتى أُحصي فيها سبعون رقعة، وقد قال عليه السلام: والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها، فقلت: أُغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى.

ودخل عليه سويد بن غفلة بعد ما بويع بالخلافة فوجده جالساً على حصير صغير ليس في البيت غيره، فقال: يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولا أرى في بيتك شيئاً، فقال: يابن غفلة إن البيت لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار أمن نقلنا خير متاعنا إليها وإنا عن قليل إليها صائرون.

وأما الزهراء عليها السلام فكان فراشها حصيراً افترش من سعف النخل، وجلد شاة، وكانت تلبس الكساء من صوف الإبل وتطحن بيدها الشعير وتعجن وتخبز، وهكذا كان زهد الذرية الطاهرة.

وأما زينب عليها السلام فقد كانت في بيت زوجها عبد الله بن جعفر الجواد وهو من علمت في ثروته ويساره وكثرة أمواله وخدمه وحشمه يوم ذاك، وكانت تخدمها العبيد والإماء والأحرار ويطوف حول بيتها الهلاك من ذوي الحوائج وطالبي الاستجداء، وكان بيتها الرفيع وحرمها المنيع لا يضاهيه في العز والشرف وبعد الصيت إلا بيوت الخلفاء والملوك، فتركت ذلك كله لوجه الله وانقطعت عن علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله وأعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم، وصحبت أخاها الحسين عليه السلام ناصرة لدين الله وباذلة للنفس والنفيس لإمامها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع علمها بجميع ما جرى عليها من المصائب والنوائب كما سمعته في حديث أم أيمن مؤثرة الآخرة على الدنيا والآخرة خير وأبقى.

ومن زهدها عليها السلام بالدنيا وعدم ركونها إلى نعيمها هو ما رواه البكري وغيره أن يزيد بن معاوية لعنه الله لما عزم على إرجاع سبايا النبوة من الشام إلى المدينة بعد أن أحس بغضب الرأي العام عليه في قتله الحسين عليه السلام وسبيه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطاف بهن من بلد إلى بلد خاف عاقبة أمره وأظهر أن هذه الأعمال لم تكن برضىً منه وصار يلعن عبيد الله بن زياد على رؤوس الأشهاد، ومن جملة أعماله التي كان يراها بزعمه تبرىء أفعاله أنه صب الأموال العظيمة على الأنطاع وأحضر أهل بيت النبوة، وقال لزينب: يا أم كلثوم خذي هذه الأموال عوضاً عن الحسين واحسبي كأن قد مات، فقالت: يا يزيد ما أقسى قلبك تقتل أخي وتعطيني المال، والله لا كان ذلك أبداً وخرجت مع أهل بيتها ولم تقبل

منه شيئاً وقد رد عليهن بعض ما كان أخذ منهن، وفي ذلك مغزل فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومقنعتها وقلادتها وقميصها عليها السلام. وهذه الرواية رويت عن أبي مخنف أيضاً بتغيير يسير.

ومن زهدها ما روي عن السجاد عليه السلام من أنها صلوات الله عليها ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً.

وروى المجلسي وغيره أن الرسول الذي ساير أهل البيت في طريقهم من الشام إلى المدينة كان قد أحسن صحبته لهم ولما قربوا من المدينة قالت فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام لأختها زينب: قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته لنا فهل لك أن تصليه، قالت: والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا، قالت فاطمة: فأخذت سواري ودملجي وسوار أختي ودملجها فبعثنا به إليه واعتذرنا من قلتها، وقلنا: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان الذي صنعت للدنيا كان في دون هذا رضاي ولكن والله ما فعلته إلا لله وقرابتكم من رسول الله ﷺ.

أقول: ومن هذه القصة يعرف المتأمل الكرم الجبلي الذي تلبس به أهل البيت عليهم السلام والزهد الفطري الذي لازمهم، لأن تلك الحلي التي أكرمت بها زينب واختها هذا الرجل هو جميع ما كان لهما من متاع الدنيا، وذلك لكونهما لم يحصلا على غيرها من أموالهما المنهوبة يوم الطف وهذا نهاية الكرم وغاية الزهد.

عبادتها وانقطاعها إلى الله تعالى

العبادة من العبودية وهي غاية الخضوع والتذلل. ولذلك كانت لله تعالى ولا تحسن لغيره لأنه جل وعلا ولي كل نعمة وغاية كل رغبة. وأكثر الناس عبادة هو أعرفهم بالله عز وجل كالأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم.

وكان رسول الله ﷺ يصلي الليل كله ولقد قام ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه فأنزل الله عليه ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ فقال ﷺ أولا أكون عبداً شكوراً.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة ولم يترك النافلة حتى في الحروب كما روي عنه ذلك في صلواته ليلة الهرير بصفين.

وكذلك كانت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها تصلي عامة الليل فإذا اتضح عمود الصبح أخذت تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وكان الأئمة من ولدها عليهم السلام يضرب بهم المثل في العبادة.

أما زينب صلوات الله عليها فلقد كانت في عبادتها ثانية أُمها

الزهراء عليها السلام، وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن. قال بعض ذوي الفضل: إنها صلوات الله عليها ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادي عشر من المحرم.

قال: وروي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس.

وعن الفاضل القائيني البيرجندي عن بعض المقاتل المعتبرة عن مولانا السجاد عليه السلام أنه قال: إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية. عن الفاضل المذكور أن الحسين عليه السلام لما ودع أخته زينب عليها السلام وداعه الأخير قال لها: يا أُختاه لا تنسيني في نافلة الليل، وهذا الخبر رواه هذا الفاضل عن بعض المقاتل المعتبرة أيضاً.

وفي مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري قدس سره قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة (أي العاشرة من المحرم) في محرابها تستغيث إلى ربها فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة.

وروى بعض المتتبعين عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك، فقالت: أُصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة.

أقول: فإذا تأمل المتأمل إلى ما كانت عليه هذه الطاهرة من

العبادة لله تعالى والانقطاع إليه لم يشك في عصمتها صلوات الله عليها وأنها كانت من القانتات اللواتي وقفن حركاتهن وسكناتهن وأنفاسهن للباري تعالى، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية التي حاكت برفعتها منازل المرسلين ودرجات الأوصياء عليهم الصلاة والسلام.

بعض كراماتها الجارية مجرى المعجزات

الكرامات المروية عن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام والمنقولة في الكتب العربية والفارسية كثيرة ونحن اعتمدنا في كتابنا هذا على أمور حصل عندنا القطع بصحتها.

فمن ذلك تسخير الأسد لها صلوات الله عليها، قال الفاضل في الأسرار: لما قتل الحسين عليه السلام روحي له الفداء أمر عمر بن سعد لعنه الله أن تطأ الخيل عليه غداً فسمعت جارية الحسين عليه السلام فحكت لزينب أخته، فقالت: ما الحيلة، قالت زينب: إن سفينة[1] عبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سفينة: مولى رسول الله (ص) اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً تجدها في الإصابة لابن حجر، والذي صححه أهل التحقيق أن اسمه مهران، وكان أصله من فارس فاشترته أم سلمة رضوان الله عليها ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي (ص).
قال ابن حجر: وقد روى عن النبي (ص) وعن أُم سلمة وعلي، وعنه ولده عبد الرحمن وعمر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبو ريحانة وغيرهم، قال حماد بن سلمة عن سعيد بن جهمان عن سفينة كنت مع النبي (ص) في سفر فكان بعض القوم إذا أعيى ألقى علي ثوبه حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً، فقال: ما أنت إلا سفينة وكان يسكن بطن نخلة، وأما قصته مع الأسد أنه سافر بعد النبي (ص) في البحر فانكسرت السفينة التي كان فيها بأهلها فخرج سفينة إلى جزيرة من جزائر البحر يمشي وحده فلما مشى ساعة لقي أسداً، فقال له: أيها الأسد أنا سفينة عبد رسول الله (ص) فأقبل الأسد نحوه وأشار إليه اركب فركب على ظهره فأسرع في المشي حتى أتى به بلده فرآه الناس على ظهر الأسد فأنزله الأسد ورجع.

نجاه الأسد على ظهره لما قال له أنا عبد رسول الله، وسمعت أن في هذه الجزيرة أسداً فامضي إليه فقولي له: إن عسكر ابن سعد يريدون غداً أن يطأوا بخيولهم ابن رسول الله ﷺ فهل أنت تاركهم، فلما مضت إليه الجارية وقالت ما قالته زينب إلى قولها فهل أنت تاركهم أشار برأسه لا، فلما كان الغد أقبل الأسد يأز أزاً والعسكر واقف فظن ابن سعد أنه جاء يأكل من لحوم الموتى، فقال: دعوه نرى ما يصنع فأقبل يدور حول القتلى حتى وقف على جسد الحسين عليه السلام فوضع يده على صدره وجعل يمرغ خده بدمه ويبكي، فلم يجسر أحد أن يقربه فقال ابن سعد فتنة فلا تهيجوها فانصرفوا عنه. قال: هكذا ذكروا مجيء الأسد إلى المصرع في كتب جمع من أصحاب المقاتل.

وفي المنتخب: لما قتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل فقالت فضة[1] لزينب عليها السلام يا سيدتي إن سفينة صاحب

---

(١) فضة: هي جارية الزهراء عليها السلام اشتراها لها أمير المؤمنين عليه السلام، قيل: إنها كانت من بنات الملوك ملك الهند، كما قال البرسي أو ملك الحبشة كما قال غيره، كانت عندها ذخيرة من الاكسير صنعت النحاس ذهباً فأرته لأمير المؤمنين عليه السلام فأراها عليه السلام كنوز الأرض، ثم قال يا فضة إنا ما خلقنا لهذا.
وفي البحار عن أبي القاسم القشيري في كتابه قال بعضهم انقطعت عن الطريق في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت، فقالت **﴿وقل سلام فسوف تعلمون﴾** فسلمت عليها، وقلت: ما تصنعين هاهنا، قالت **﴿من يهدي الله فلا مضل له﴾** فقلت: أمن الجن أنت أم من الانس، قالت **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾** فقلت: من أين أقبلت، فقالت **﴿ينادون من مكان بعيد﴾** قلت: أين تقصدين، قالت **﴿ولله على الناس حج البيت﴾** فقلت: متى انقطعت عن القافلة، قالت **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام﴾** فقلت: أتشتهين طعاماً، فقالت **﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام﴾** فأطعمتها ثم قلت: هرولي واستعجلي، قالت **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾** فقلت: أردفك، فقالت **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** فنزلت فأركبتها، فقالت **﴿سبحان الذي سخر لنا هذا﴾** فلما أدركنا القافلة، قلت: ألك أحد فيها، فقالت **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، وما محمد إلا رسول، يا يحيى خذ الكتاب، يا موسى إني أنا الله﴾** فصحت بهذه الأسماء فإذا أنا =

رسول الله كان بمركب فضربته الريح فتكسر فسبح فقذفه البحر إلى جزيرة فإذا هو بأسد فدنا منه فخشي سفينة أن يأكله، فقال: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فهمهم بين يديه حتى أوقفه على الطريق فركب ونجا سالماً وأرى أسداً في خلف مخيمنا فدعيني أمضي إليه فأعلمه بما هم صانعون غداً، فقالت شأنك قالت: فمضيت إليه فقلت: يا أبا الحارث فرفع رأسه، ثم قلت: أتدري ما يريدون أن يعملوا غداً بأبي عبدالله عليه السلام يريدون أن توطىء الخيل ظهره، قالت: فقام الأسد فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام وجعل يمرغ وجهه بدم الحسين عليه السلام ويبكي إلى الصباح، فلما أصبح بنو أُمية أقبلت الخيل يقدمهم الأخنس لعنه الله فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد فتنة لا تثيروها انصرفوا فانصرفوا (قال) ويقرب مما في المنتخب ما ذكره ثقة الإسلام في الكافي.

أقول: وهذه الكرامة هي كرامة عظيمة لزينب صلوات الله عليها على الرواية الأولى والثانية لأن إطاعة الأسد لجاريتها إنما هي لأجلها عليها السلام.

ومن ذلك استجابة دعائها قال أبو إسحاق الاسفرائيني في كتاب نور العين في مشهد الحسين، روي عن زينب أُخت الحسين عليه السلام عند هجوم القوم على الخيام أنها قالت: دخل علينا رجال وفيهم رجل أزرق العيون فأخذ كل ما كان في خيمتنا التي كنا مجتمعين فيها، إلى أن قالت فقلت له قطع الله يديك ورجليك وأذاقك الله النار في الدنيا قبل الآخرة،

بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك، قالت ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ فلما أتوها قالت ﴿يا أبتاه استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ فكافوني بأشياء فقالت ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ فزادوا علي فسألتهم عنها، فقالوا: هذه أمنا فضة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن.

قال: فما كان إلا قليل حتى ظهر المختار الثقفي طالباً بثأر الحسين عليه السلام فوقع في يده ذلك الرجل وهو خولي بن يزيد الأصبحي، فقال المختار: ما فعلت بعد قتل الحسين فذكر أفعاله التي فعلها ودعوتها عليه فقطع المختار يديه ورجليه وأحرقه بالنار وسيأتي نظير هذا الخبر عند مصائب زينب عن الدمعة الساكبة عن أبي مخنف.

ومن ذلك ما رواه أرباب المقاتل وغيرهم أن شامياً تعرض فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام فدعت عليه زينب عليها السلام بقولها قطع الله لسانك وأعمى عينيك وأيبس يديك فأجاب الله دعاءها في ذلك الرجل فقالت الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

ومن ذلك أنها حين وقفت على أخيها الحسين عليه السلام في مصرعه كشف عن بصرها فرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً في المعركة وقد قبض على كريمته الشريفة ودموعه تجري على خديه فنادت يا جداه يا رسول الله هذا حسينك بالعراء (الخ) هكذا نقل بعض المتبحرين ولهذا الخبر مؤيدات.

منها ما في البحار عن الصادق عليه السلام أن الحسين عليه السلام لما قتل أتاهم آت وهم في العسكر فصرخ فزبر فقال لهم وكيف لا أصرخ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم ينظر إلى الأرض مرة وينظر إلى حزبكم مرة وأنا أخاف أن يدعو الله على أهل الأرض فأهلك فيهم، فقال بعضهم لبعض: هذا إنسان مجنون، فقال التوابون: تالله ما صنعنا بأنفسنا قتلنا لابن سمية سيد شباب أهل الجنة فخرجوا على عبيد الله بن زياد فكان من أمرهم ما كان، قلت جعلت فداك من هذا الصارخ، قال: ما نراه إلا جبرائيل أما إنه لو أُذن له فيهم لصاح صيحة تخطف منها أرواحهم من أبدانهم إلى النار ولكن أمهل لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب أليم.

ومنها خبر الطرماح المنقول عن أبي مخنف في المقتل، ونقله

السيد الجزائري في الأنوار النعمانية والرضي القزويني في بيت الأحزان، وحاصله أن الطرماح بعدما جرح ووقع في القتلى رأى رسول الله ﷺ عند جسد الحسين عليه السلام وهو ينادي يا ولدي قتلوك أتراهم ما عرفوك ومن شرب الماء منعوك ما أجرأهم على الله، الخبر.

ومن ذلك ما نقله جماعة من الناس أن امرأة في الكوفة تسمى أُم هجام أهانت رأس الحسين عليه السلام عند المرور به على قصرها فدعت زينب على قصرها بالهجوم فوقع القصر في الحال وهلك من فيه وكانت هذه الامرأة الخبيثة من نساء الخوارج.

ومن كراماتها الباهرة عليها السلام ما نقله العلامة النوري رحمه الله في كتابه دار السلام، قال حدثني السيد السند والحبر المعتمد العالم العامل وقدوة أرباب الفضائل البحر الزاخر عمدة العلماء الراسخين السيد محمد باقر السلطان آبادي، نفع الله به الحاضر والبادي، قال: عرض لي في أيام اشتغالي ببروجرد مرض شديد فرجعت من بروجرد إلى سلطان آباد فاشتد بي المرض بسبب هذه الحركة وانصبت المواد في عيني اليسرى فرمدت رمداً شديداً واعتراها بياض. كان الوجع يمنعني من النوم فأحضر والدي أطباء البلد للعلاج، ولما رأوا حالتي قال أحدهم: يلزمه أن يشرب الدواء مدة ستة أشهر، وقال الآخر مدة أربعين يوماً، فضاق صدري وكثر همي من سماع كلماتهم لكثرة ما كنت شربت من الدواء في تلك المدة، وكان لي أخ صالح تقي أراد السفر إلى المشاهد المعظمة وزيارة سادات البرية، فقلت له: أنا أيضاً أُصاحبك للتشرف بتلك الأعتاب الطاهرة لعلي أمسح عيني بترابها الذي هو دواء لكل داء ويأتيني ببركاتها الشفاء فقال لي كيف تطيق الحركة مع هذا المرض العضال وهذا الوجع القتال، ولما بلغ الأطباء عزمي على السفر قالوا بلسان واحد إن بصره يذهب في أول منزل أو ثاني منزل فتحرك أخي وأنا جئت إلى بيته بعنوان مشايعته في

الظاهر وكان هناك رجل من الأخيار سمع قصتي فحرضني على الزيارة، وقال لي: لا يوجد لك شفاء إلا لدى خلفاء الله وحججه فإني كنت مبتلى بوجع في القلب مدة تسع سنين وكلت الأطباء عن تداويه فزرت أبا عبد الله الحسين عليه السلام فشفاني بحمد الله من غير تعب ومشقة فلا تلتفت إلى خرافات الأطباء وامض إلى الزيارة متوكلاً على الله تعالى، فعزمت من وقتي على السفر فلما كنا في المنزل الثاني من سفرنا اشتد بي المرض ليلاً ولم أستقر من وجع العين فأخذ من كان يمنعني من السفر يلومني، واتفق أصحابي كلهم على أن أعود إلى بلدي الذي جئت منه، فلما كان وقت السحر وسكن الوجع قليلاً رقدت فرأيت الصديقة الصغرى زينب بنت إمام الأتقياء عليه آلاف التحية والثناء فدخلت علي وأخذت بطرف مقنعة كانت في رأسها وأدخلته في عيني ومسحت عيني به فانتبهت من منامي وأنا لم أجد للوجع أثراً في عيني، فلما أصبح الصباح قلت لأصحابي إني لم أجد اليوم ألماً في عيني فلا تمنعوني من السفر، فما تيقنوا مني فحلفت لهم وسرنا، فلما أخذنا في السَير رفعت المنديل الذي كان على عيني المريضة ونظرت إلى البيداء وإلى الجبال فلم أر فرقاً بين عيني اليمنى الصحيحة واليسرى المريضة، فناديت أحد الرفقاء وقلت له: تقرب مني وانظر في عيني فنظر وقال: سبحان الله لا أرى في عينك رمداً ولا بياضاً ولا أثراً من المرض ولا فرق بين عينك اليمنى واليسرى، فوقفت وناديت الزائرين جميعاً وقصصت لهم رؤياي وكرامة الصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها ففرح الجميع وأرسلت البشائر إلى والدي فاطمأن خاطره بذلك (قال العلامة النوري) وحدثني بتلك الكرامة شيخنا الجليل النبيل، والعالم الذي عدم له النظير والبديل، المولى فتح علي السلطان آبادي، قال إنه شاهد هذه الحكاية بنفسه.

أقول: نقلنا هذه الكرامة بتغيير في الألفاظ مع المحافظة على المعاني.

ومن كراماتها عليها السلام انتقام الباري عز وجل من الكذابة التي ادعت أنها زينب وافتضاحها، فال ابن شهرآشوب في المناقب والمجلسي في البحار وغيرهما عن أبي الهلقام وعبد الله بن جعفر الحميري والصقر الجبلي وأبي شعيب الحناط وعلي بن مهزيار، قالوا: كانت زينب الكذابة تزعم أنها ابنة علي بن أبي طالب عليه السلام فأحضرها المتوكل وقال: اذكري نسبك فقالت أنا زينب ابنة علي وأنها كانت حملت إلى الشام فوقعت إلى بادية من بني كلب فأقامت بين ظهرانيهم فقال لها المتوكل: إن زينب بنت علي قديمة وأنت شابة فقالت لحقتني دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يرد شبابي في كل خمسين سنة، فدعا المتوكل وجوه آل أبي طالب، فقال: كيف يعلم كذبها فقال الفتح لا يخبرك بهذا إلا ابن الرضا (يريد أبا الحسن علياً الهادي عليه السلام) فأمر بإحضاره عليه السلام فقال: إن في ولد علي علامة، قال: وما هي، قال: لا تتعرض لهم السباع فألقها إلى السباع فإن لم تتعرض لها السباع فهي صادقة، فقالت يا أمير المؤمنين الله الله فيَّ فإنما أراد قتلي وركبت الحمار وجعلت تنادي ألا إنني زينب الكذابة.

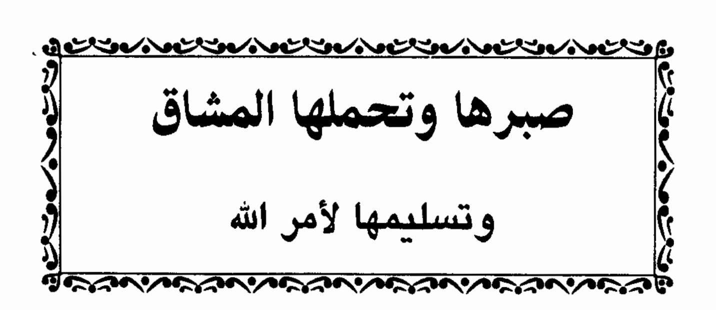
قال وفي رواية أنه عرض عليها ذلك فامتنعت فطرحت للسباع فأكلتها، قال علي بن مهزيار فقال علي بن الجهم جرب هذا على قائله فأجيعت السباع ثلاثة أيام ثم دعي بالإمام عليه السلام وأخرجت السباع فلما رأته لاذت وتبصبصت بآذانها فلم يلتفت الإمام إليها وصعد السقف وجلس عند المتوكل، ثم نزل من عنده والسباع تلوذ به وتبصبص حتى خرج عليه السلام، قال وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرم لحوم أولادي على السباع.

أقول: ونظير هذه الحكاية ما جرى للإمام الرضا عليه السلام، قال المجلسي في البحار: كانت بخراسان امرأة تسمى زينب فادعت أنها علوية من سلالة فاطمة عليها السلام وصارت تصول على أهل خراسان بنسبها فسمع علي بن موسى الرضا عليهما السلام فلم يعرف نسبها فأحضرت إليه فرد

نسبها، وقال عليه السلام: هذه كذابة فسفهت عليه وقالت كما قدحت في نسبي فأنا أقدح في نسبك فأخذته عليه السلام العزة العلوية، فقال عليه السلام لسلطان خراسان وكان لذلك السلطان بخراسان موضع واسع فيه سباع مسلسلة للانتقام من المفسدين يسمى ذلك الموضع بركة السباع، فأخذ الرضا عليه السلام بيد تلك المرأة وأحضرها عليه السلام عند ذلك السلطان، وقال: هذه كذابة على علي وفاطمة عليهما السلام وليست من نسلهما وإن من كان حقاً بضعة من علي وفاطمة عليهما السلام فإن لحمه حرام على السباع فألقوها في بركة السباع، فإن كانت صادقة فإن السباع لا تضرها وإن كانت كاذبة فتفترسها السباع، فلما سمعت المرأة ذلك منه عليه السلام قالت: فانزل أنت إلى السباع فإن كنت صادقاً فإنها لا تقربك ولا تفترسك فلم يكلمها وقام فقال له ذلك السلطان إلى أين فقال عليه السلام إلى بركة السباع والله لأنزلن إليها، فقام السلطان والناس والحاشية وجاءوا وفتحوا باب البركة فنزل الرضا عليه السلام والناس ينظرون من أعلى البركة، فلما حصل بين السباع وقعت جميعاً إلى الأرض على أذنابها وصار يأتي إلى واحد واحد يمسح وجهه ورأسه وظهره والسبع يبصبص له وهكذا إلى أن أتى على الجميع، ثم طلع والناس يبصرونه فقال لذلك السلطان أنزل هذه الكذابة على علي وفاطمة عليهما السلام ليتبين لك فامتنعت فألزمها ذلك السلطان وأمر أعوانه بإلقائها فمذ رأتها السباع وثبت إليها وافترستها فاشتهر اسمها بخراسان بزينب الكذابة، وحديثها هناك مشهور.

قلت: قبل سنوات قليلة في أيام العثمانيين كان لمحمد باشا الداغستاني اصطبل ببغداد وكان أسدان كبيران مسلسلان يتفرج الناس عليهما من وراء شباك في الاصطبل وأنا من جملة من كان يذهب هناك للتفرج في أيام زياراتي من النجف الأشرف إلى الكاظميين عليهما السلام، وكان من لطائف المتفرجين أن أحدهم إذا مد اصبعه في الشباك تحرك الأسد الأكبر وربما قام وصرخ فحدثني بعض الثقات (والقضية متواترة لدى

البغداديين والكاظميين) أن بعض السادة العلويين من سكنة الكاظمية كان قد ذهب للتفرج على الأسدين المذكورين، فقال له بعض الحاضرين تروون أن لحوم العلويين محرمة على السباع وأنها لا تضرهم فإذا كنت علوياً فأدخل يدك في الشباك حتى نتحقق سيادتك فقرب ذلك السيد العلوي من الشباك ومد يده إلى الأسدين فغمضا عينيهما المتذللين فأبقى يده مدة طويلة ثم أخرجها وكان هناك أحد من يدّعي السيادة من أهل سامراء، فقال له الحاضرون إن كنت من العلويين فاعمل كما عمل ذلك السيد فأراد أن يقرب من الشباك فقام الأسد واحمرت عيناه وصرخ صرخة رهيبة فانهزم السامرائي إلى ورائه فضحك الحاضرون منه وقرب السيد الكاظمي مرة أُخرى فأخذ الأسدان بتغميض أعينهما والخضوع والتذلل وهكذا تكررت العملية مراراً عديدة من السامرائي والكاظمي.



صبرها وتحملها المشاق

وتسليمها لأمر الله

الصبر الممدوح حبس النفس على تحمل المشاق تسليماً لأمر الله تعالى كحبسها عن الجزع والهلع عند المصاب وفقد الأحبة وحبسها عن الشهوات نزولاً على حكم الشريعة وحبسها على مشقة الطاعة تزلفاً إلى المبدأ الأعلى، وهو من أفضل الأعمال ومن أشرف الخصال الإنسانية، وإنما يكون من قوة الإيمان والثبات على المبدأ الحق، كما أن الجزع والهلع والتكاسل عن العبادات تنبعث عن ضؤولة الإيمان، وضعف اليقين، وقد مدح الله تعالى الصابرين في كتابه الكريم فقال عز وجل ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[1] وقال تعالى ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾[2] وقال تعالى ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

وأولئك هم المتقون﴾[1] والآيات كثيرة في الصبر والأحاديث أكثر.

قال النبي ﷺ: الإيمان شطران شطر صبر وشطر شكر.

وقال ﷺ: جاءني جبرائيل عليه السلام فقال: يا رسول الله إن الله أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك، فقلت: ما هي، قال: الصبر، قلت: فما تفسير الصبر، قال: يصبر في الضراء كما يصبر في السراء، وفي الفاقة كما يصبر في الغنى، وفي البلاء كما يصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه.

وقال ﷺ: ما من مسلم يصاب بمصيبة وإن قدم عهدها فأحدث لها استرجاعاً (أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون) إلا أحدث الله له مثل أجره يوم أُصيب بها، ولما كان الصبر بهذه المثابة عند الله كان الأقربون إلى الله أكثر صبراً من غيرهم كالأنبياء وأوصيائهم ثم الأمثل فالأمثل وهذه الصديقة الطاهرة قد رأت من المصائب والنوائب ما لو نزلت على الجبال الراسيات لانفسخت واندكت جوانبها، لكنها في كل ذلك كانت تصبر الصبر الجميل كما هو معلوم لكل من درس حياتها.

وأول مصيبة دهمتها هو فقدها جدها النبي ﷺ وما لاقى أهلها بعده من المكاره، ثم فقدها أمها الكريمة بنت رسول الله ﷺ بعد مرض شديد وكدر من العيش والاعتكاف في بيت الأحزان، ثم فقدها أخاها المجتبى مسموماً تنظر إليه وهو يتقيأ كبده في الطست قطعة قطعة وبعد موته ترشق جنازته بالسهام، ثم رؤيتها أخاها الحسين عليه السلام تتقاذف به البلاد حتى نزل كربلاء وهناك دهمتها الكوارث العظام من قتله عليه السلام وقتل بقية اخوتها وأولادهم وأولاد عمومتها وخواص الأمة من شيعة أبيها عطاشى، ثم المحن التي لاقتها من هجوم أعداء الله على رحلها وما فعلوه، من سلب وسبي ونهب وإهانة وضرب لكرائم النبوة وودائع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

الرسالة، وتكفلها حال النساء والأطفال في ذلة الأسر، ثم سيرها معهم من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل ومن مجلس إلى مجلس، وغير ذلك من الرزايا التي يعجز عنها البيان ويكل اللسان، وهي مع ذلك كله صابرة محتسبة ومفوضة أمرها إلى الله تعالى قائمة بوظائف شاقة من مداراة العيال ومراقبة الصغار واليتامى من أولاد اخوتها وأهل بيتها رابطة الجأش بإيمانها الثابت وعقيدتها الراسخة حتى كانت تسلي إمام زمانها زين العابدين عليه السلام، أما ما كان يظهر منها بعض الأحيان من البكاء وغيره فذلك أيضاً كان لطلب الثواب أو الرحمة التي أودعها الله عز وجل في المؤمنين، أما طلب الثواب فلعلمها بما أعده الله عز وجل للبكائين على الحسين عليه السلام.

قال الصادق عليه السلام: من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح بعوضة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وعنه عليه السلام: كل الجزع والبكاء مكروه للعبد سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام فإنه فيه مأجور.

وقال الباقر عليه السلام: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، كما أن السجاد عليه السلام كان يبكي أباه مدة حياته وهو الإمام المقتدى به.

قال المجلسي رحمه الله بعد أن ذكر كثرة بكاء السجاد على أبيه وذكر حكاية ملامة أحد مواليه له عليه السلام: إن بكاء المقربين بعضهم بعضاً ليس لأجل المحبة البشرية بل لأغراض أُخر، وهنا لما كان زين العابدين عليه السلام عالماً بأحوال والده مما يخفى على غيره ويعلم أنه أحب الخلق إلى الله وأن فقده سبب لضلالة الناس وضياع واندراس شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وظهور البدع بكى عليه السلام لذلك.

أقول: وزينب عليها السلام كان بكاؤها مضافاً إلى طلب الثواب لهذا الغرض أيضاً، وأما الرحمة التي أودعها الله المؤمنين فمثل ما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك عندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولده إبراهيم يجود بنفسه، قال: فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: يابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأُخرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

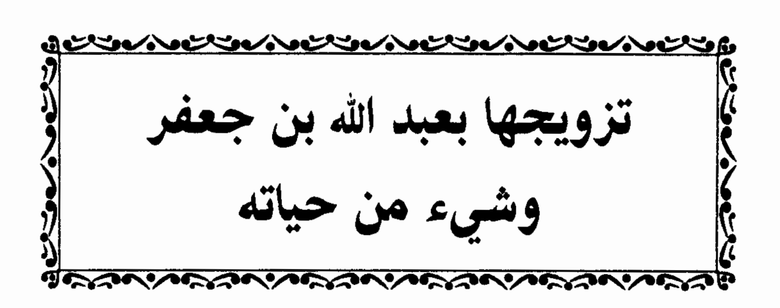
وعن ابن ماجة بإسناده عن أنس أيضاً قال لما قبض إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه فأتاه فانكب عليه وبكى صلى الله عليه وآله وسلم.

وعنه أيضاً بإسناده عن أسماء بنت يزيد قالت: لما توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له المعزي إما أبو بكر وإما عمر أنت أحق من عظم الله حقه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم ما وجدنا وإنا بك لمحزونون.

وعنه أيضاً بإسناده عن أُسامة بن زيد قال كان ابن لبعض بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضي فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقمت معه ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وعبادة بن الصامت فلما دخلنا ناولوا الصبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروحه تقلقل في صدره، قال فبكى رسول الله، فقال له عبادة بن الصامت: ما هذا يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: الرحمة التي جعلها الله في بني آدم وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

أقول: يكفي في علو مقام هذه الدرة المكنونة والجوهرة المصونة في الصبر وعظيم درجتها في التسليم لأمر الله والرضا بقضائه، ما نقله في الطراز المذهب أنها سلام الله عليها وعلى جدها وأبيها وأمها وإخوانها لما وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام قالت: اللّهم تقبل منا هذا القليل من القربان، قال: فقاربت أمها في الكرامات والصبر في النائبات بحيث خرقت العادات ولحقت بالمعجزات.

قلت: وهذه الكلمات من هذه الحرة الطاهرة في تلك الوقفة التي رأت بها أخاها العزيز بتلك الحالة المفجعة التي كان فيها تكشف لنا قوة إيمانها ورسوخ عقيدتها وفنائها في جنب الله تعالى وغير ذلك مما لا يخفى على المتأمل.



تزويجها بعبد الله بن جعفر وشيء من حياته

لما بلغت زينب صلوات الله عليها مبلغ النساء ودخلت من دور الطفولة إلى دور الشباب، خطبها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل فكان أمير المؤمنين عليه السلام يردهم ولم يجب أحداً منهم في أمر زواجها، وممن خطبها عليها السلام الأشعث بن قيس وكان من ملوك كندة (على ما في الإصابة) فزبره أمير المؤمنين عليه السلام وقال يا بن الحائك أغرك ابن أبي... حين زوجك أخته ـ والحائك هنا المحتال أو الكذاب[1] وكان... زوج أخته أم فروة بنت أبـــــي... من الأشعث وذلك أن الأشعث ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأُسر فأُحضر إلى أبي بكر فأسلم وأطلقه وزوجه أخته المذكورة فأولدها محمد بن الأشعث وهو أحد قتلة الحسين عليه السلام إن الذي كان يدور في خلد أمير المؤمنين عليه السلام أن

---

(١) في المجمع ذكر حائك عند أبي عبد الله عليه السلام وأنه ملعون فقال عليه السلام إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله (قلت) ومثله في قول البديع الهمداني:

يــــا دار منتجـــع الـــرســـا	لــة بيــت مختلــف المــلائــك
يــا بـــن الفـــواطـــم والعـــوا	تـــك والتـــرائـــك والأرائـــك
أنـــا حـــائـــك إن لـــم أكـــن	مـــولـــى ولائـــك وابـــن حـــائـــك

يزوج بناته من أبناء اخوته ليس إلا امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١] حين نظر إلى أولاد علي وجعفر وقال. بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا، ولذلك دعا بابن أخيه عبد الله بن جعفر وشرفه بتزويج تلك الحوراء الإنسية إياه على صداق أمها فاطمة عليها السلام أربعمائة وثمانين درهماً ووهبها إياه من خالص ماله عليه السلام.

ويجدر بنا ها هنا أن نذكر شيئاً من حياة عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (فنقول) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف، يلقب بالجواد ويكنى بأبي محمد وأشهر كناه أبو جعفر، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها، وهي أم ولد جعفر بن أبي طالب جميعاً، ولما قتل عنها جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً ولما توفي عنها تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له يحيى بن علي توفي في حياة أبيه عليه السلام، هذا قول أبي الفرج الأصبهاني في المقاتل، وقيل ولدت له يحيى ومحمداً الأصغر.

وفي مناقب ابن شهرآشوب محمد الأصغر كان يكنى أبا بكر قتل يوم الطف، وقيل كانت أُمه أم ولد، وقيل إنه مات في حياة أبيه أيضاً، وأبو بكر المقتول يوم الطف من ليلى بنت مسعود النهشلية وهو الصحيح.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ذكر ابن الكلبي أن عون بن علي أمه أسماء بنت عميس ولم يقل ذلك غيره[٢] وهاجرت أسماء مع زوجها جعفر إلى الحبشة فولدت له أولاده هناك، وكانت أسماء من القانتات العابدات روت الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن علي والزهراء عليهما السلام وروى

(١) في البحار عن الخزاز القمي نظر النبي (ص) إلى أولاد علي وجعفر فقال (ص) بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا.

(٢) ويروى أن أسماء أول من تزوجها هو حمزة بن عبد المطلب وأنها ولدت له بنتاً تسمى أمة الله وقيل امامة والله أعلم.

عنها كثيرون منهم ابنها عبد الله بن جعفر، وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وهو جد إمامنا الصادق عليه السلام لأمه، وروى عنها عبد الله بن عباس (رض) وهو ابن أختها لبابة بنت الحارث، قيل وكان عمر يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره.

قال في الإصابة ويقال إنها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دماً، وكان جعفر بن أبي طالب من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هاجر إلى الحبشة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه.

قال الشعبي: وقدم المدينة عند فتح خيبر فالتزمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يقبل بين عينيه ويقول ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر، وكان إسلام جعفر بأمر أبيه أبي طالب في السنة التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وخديجة عليها السلام والناس عاكفون على الأصنام هذا هو الصحيح.

وعن ابن إسحاق أنه أسلم بعد خمسة وعشرين رجلاً، وقيل بعد واحد وثلاثين، والذي يدل على صحة ما اخترناه ما نقله عامة أهل السير ورواه الرواة بإسنادهم عن عمران بن حصين أن أبا طالب قال لابنه جعفر حين رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وخلفه علي عليه السلام: صل جناح ابن عمك.

وفي الأمالي للصدوق بإسناده عن محمد بن عمر الجرجاني قال قال الصادق عليه السلام: أول جماعة جمعت كانت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه إذ مر أبو طالب ومعه ولده جعفر، فقال: يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي عند ملم الزمان والنوب

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي

قال فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم.

أقول: وفي هذا المقام أخبار أُخر أوردناها في كتابنا مواهب الواهب في فضائل أبي طالب وقد جاءت في جعفر عليه السلام أخبار كثيرة تدل على سمو قدره وعظم شأنه.

قال ابن حجر كان أبو هريرة يقول إنه أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال وفي البخاري عنه كان جعفر خير الناس للمساكين.

وقال خالد الحذاء عن عكرمة سمعت أبا هريرة يقول ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطأ التراب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب.

وعنه كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكنيه أبا المساكين.

قال وقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشبهت خلقي وخلقي رواه البخاري.

وفي التذكرة لسبط ابن الجوزي استشهد جعفر بمؤتة في أرض البلقاء إلى الحجاز وذلك في جمادى الأُولى سنة ثمان من الهجرة، قال ابن إسحاق وسبب هذه الغزاة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيره فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فندب الناس وعسكر بالحرب وهم ثلاثة آلاف وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثنية الوداع فساروا حتى نزلوا مؤتة فالتقاهم هرقل في أربعمائة ألف منهم أربعون ألفاً مقرنين، فالتقوا فثبت المسلمون ثم قتل

زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وكانوا أُمراء الجيش، قال ابن سعد في الطبقات قال ابن عمر وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة سيف.

قال إن النبي ﷺ نعى جعفراً وزيداً وابن رواحة قبل أن يجيء خبرهم نعاهم وعيناه تذرفان.

قال وفي الطبقات بالإسناد إلى عبدالله بن جعفر دخل رسول الله ﷺ على أمي فنعى إليها أبي ومسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تذرفان بالدموع، ثم قال: اللهم إن جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته، ثم قال ﷺ يا أسماء ألا أُبشرك إن الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة.

وقال: أمهل رسول الله ﷺ آل جعفر ثلاثاً بعدما جاء نعيه ثم أتاهم وجيء بحجام فحلق رؤوس أولاده محمد وعون وعبد الله، وقال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عون فشبيه خلقي وخلقي ثم أخذ بيد عبدالله ودعا له.

أقول: كان عبد الله بن جعفر ممن صحب رسول الله ﷺ وحفظ حديثه ثم لازم أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام وأخذ منهم العلم الكثير.

قال في الاستيعاب: وكان كريماً جواداً ظريفاً خليقاً عفيفاً سخياً يسمى بحر الجود قال ويقال إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه[١].

---

(١) ثم قال في الاستيعاب، وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً، ثم نقل حكاية في ذلك أرسلها إرسالاً.

أقول: اتهام عبد الله بن جعفر بالغناء واجتماع الشعراء عند سكينة بنت الحسين (ع) ومحاكمتها بينهم، وطلاق عبد الله بن جعفر لزوجته زينب بنت أمير المؤمنين (ع) وأكثر الحكايات الطاعنة في بني هاشم بعد التتبع وجدناها من وضع الزبير بن بكار

. . . .

= عدو أهل البيت وبلغت عداوته إلى حد أن العلويين طلبوا الخلاص منه بقتله.
قال ابن الأثير الجزري في الكامل قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قدم الزبير بن بكار العراق هارباً من العلويين لأنه كان ينال منهم فتهددوه فهرب منهم وقدم على عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير وشكا إليه حاله وتخوفه من العلويين وسأله انهاء حاله إلى المعتصم، فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه، قال أحمد: فشكا ذلك إلي وسألني مخاطبة عمه في أمره فقلت له في ذلك وأنكرت عليه اعراضه عنه، فقال لي: إن الزبير فيه جهل وتسرع فأشر عليه أن يستعطف العلويين ويزيل ما في نفوسهم منه أما رأيت المأمون ورفقه بهم وعفوه عنهم وميله إليهم، قلت: بلى، قال: فهذا أمير المؤمنين والله على مثل ذلك أو فوقه ولا أقدر أذكرهم عنده لقبيح فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم.
أقول: ولم ينفع معه القول لخبث ولادته وصار يضع المفتريات حتى على مشايخ العلويين.
قال الذهبي إن الحافظ أبا الفضل أحمد بن علي السليماني عد الزبير بن بكار من الوضاعين للأحاديث ولم يقبل حديثه ولا يوجد لحديثه أثر في الصحيحين.
وقال الشيخ المفيد في محكي المسائل السروية: إن الزبير بن بكار لم يوثق فيما ينقله وهو متهم وغير مأمون لما كان عليه من بغض أمير المؤمنين (ع).
قلت: ولما كان عليه من النصب قدمه النواصب من العباسيين فولوه القضاء بمكة المكرمة كما قدموا الناصبي مروان بن أبي حفصة على الشعراء، وكانت وفاته سنة ٢٥٦ وهو ابن ثمانين أو أربع وثمانين سنة وبينه وبين عبد الله بن الزبير أربعة أظهر ليس غير، فإنه الزبير بن أبي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير.
قال الصدوق طاب ثراه: استحلف الزبير بن بكار رجل من الطالبيين على شيء بين القبر والمنبر فحلف وبرص، وأبوه بكار ظلم الرضا عليه السلام في شيء فدعا عليه فسقط في وقت دعائه عليه من قصره فاندقت عنقه، وأبوه عبد الله بن مصعب هو الذي مزق عهد يحيى بن عبد الله بن الحسين بين يدي الرشيد، وقال: اقتله فإنه لا أمان له، وهو الذي استحلفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة فحم من وقته ومات بعد ثلاث وانخسف قبره مرات كثيرة.
قلت: وأول من آوى الزبير بن بكار ودر عليه المعاش هو المتوكل وعداوته لعلي وأولاده معلومة ظاهرة، ففي تاريخ الخطيب عن جحظة البرمكي قال استأذن الزبير بن بكار على محمد بن عبد الله بن طاهر وأنا بحضرته فلما دخل أكرمه محمد وعظمه، وقال: لئن باعدت بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب وإن أمير المؤمنين (يعني =

وقال في الإصابة: قال ابن جريح أنبأنا جعفر بن خالد بن سارة أن أباه أخبره عن عبد الله بن جعفر قال: مسح رسول الله ﷺ رأسي، وقال: اللهم اخلف جعفراً في ولده، وقال: كنا نلعب فمر بنا على دابة فحملني أمامه، أخرجه أحمد وغيره بسند قوي.

قال ومن طريق محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبدالله بن جعفر (إلى أن قال) فقال رسول الله ﷺ وأما عبدالله فيشبه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي، فقال: اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبدالله في صفقة يمينه قالها ثلاث مرات (وفيه) وأنا وليهم في الدنيا والآخرة.

قال: وقال البغوي حدثنا القواريري حدثنا عبدالله بن داود عن قطر ابن خليفة عن أبيه عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مر بعبدالله بن جعفر وهو يبيع مع الصبيان، فقال: اللهم بارك في بيعه أو صفقته.

قال وقال ابن حيان: كان يقال لعبد الله بن جعفر قطب السخاء، وكان له عند موت النبي عشر سنين.

وفي التذكرة عن صحيحي البخاري ومسلم عن عبدالله بن الزبير أنه قال لعبدالله بن جعفر: أتذكر إذ لقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ فقال له عبدالله بن جعفر نعم فحملنا وتركك.

وروى ابن سعد باسناده عنه قال: كان رسول الله إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته، وإنه ﷺ جاء مرة فسبق بي إليه فحملني فجعلني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن أو الحسين عليهما السلام فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.

= المتوكل) ذكرك فاختارك لتأديب ولده وأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت من الثياب وعشرة أبغل تحمل عليها رحلك إلى حضرته بسر من رأى فشكره على ذلك وقبله.

قال حدثنا يزيد بن هارون حدثنا إسماعيل بن عامر قال: كان عبدالله بن عمر إذا لقي عبدالله بن جعفر يقول له السلام عليك يا بن ذي الجناحين.

قلت: وأخبار عبد الله بن جعفر في الكرم كثيرة، وكان بدعوة النبي ﷺ من أيسر بني هاشم وأغناهم، وله في المدينة وغيرها قرى وضياع ومتاجرة عدا ما كانت تصله من الخلفاء من الأموال، وكان بيته محط آمال المحتاجين، وكان لا يرد سائلاً قصده، وكان يبدأ الفقير بالعطاء قبل أن يسأله فسئل عن ذلك فقال: لا أحب أن يريق ماء وجهه بالسؤال، حتى قال فقراء المدينة بعد موته ما كنا نعرف السؤال حتى مات عبدالله بن جعفر.

ويحكى أن الفرزدق الشاعر أتى عبد الملك بن مروان يستميحه فأبى أن يعطيه شيئاً فقال له عبدالله بن جعفر: ما كنت تؤمل أن يعطيك، فقال: كنت أؤمل أن يعطيني ألف دينار في كل سنة، قال: فكم تؤمل أن تعيش في الدنيا يا أبا فراس، قال أؤمل أن أعيش في الدنيا أربعين سنة، فنادى عبدالله بن جعفر غلامه يا غلام علي بالوكيل فأتاه وكيله، فقال له خذ الفرزدق وأعطه أربعين ألف دينار فقبضها ومضى. وحكايات عبدالله بن جعفر في الجود كثيرة ذكرنا شطراً منها في كتابنا خزائن الدرر.

ومما يدل على سؤدده ومجده وفصاحته وبلاغته ما رواه عز الدين ابن أبي الحديد في شرح النهج عن المدائني، قال: بينا معاوية يوماً جالس وعنده عمرو بن العاص إذ قال الآذن قد جاء عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقال عمرو والله لأسوأنه اليوم، فقال معاوية: لا تفعل يا أبا عبدالله فإنك لا تنتصف منه ولعلك أن تظهر لنا من مغبته ما هو خفي عنا وما لا نحب أن نعلمه منه، وغشيهم عبدالله بن جعفر فأدناه معاوية وقربه

فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من علي عليه السلام جهاراً غير ساتر له وثلبه ثلباً قبيحاً فالتمع لون عبدالله واعتراه إفكل حتى ارعدت خصائله ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال عمرو مه يا أبا جعفر فقال له عبدالله مه لا أم لك ثم قال:

أظـن الحلـم دل علـي قـومـي وقـد يستجهـل الـرجـل الحليـم

ثم حسر عن ذراعيه وقال يا معاوية حتى م نتجرع غيظك وإلى كم الصبر على مكروه قولك وسيىء أدبك وذميم أخلاقك هبلتك الهبول أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك إذا لم تكن له حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك، أما والله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الإسلام ما أرخيت لبني الإماء المتك والعبيد الصُّكّ أعراض قومك وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة، وإنك لتعرف وشائظ قريش وصبوة غرائزها فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين إلى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمهك عن سبيل الرشد وخبطك في بحور ظلمة الغي فإن أبيت ألاّ أن تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك فأعفنا عن سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك الندي وشأنك وما تريد إذا خلوت والله حسيبك فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك.

ثم قال: إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق، فقال معاوية يا أبا جعفر أقسمت عليك لتجلسن لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره محمول لك ما قلت ولك عندنا ما أملت فلو لم يكن مجدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا وأنت ابن ذي الجناحين وسيد بني هاشم، فقال عبدالله كلا بل سيدا بني هاشم حسن وحسين لا ينازعهما في ذلك أحد، فقال أبا جعفر أقسمت عليك

لما ذكرت حاجة لك قضيتها كائنة ما كانت ولو ذهبت بجميع ما أملك، فقال أما في هذا المجلس فلا. ثم انصرف فأتبعه معاوية بصره، فقال: والله لكأنه رسول الله ﷺ مشيه وخلقه وخلقه وإنه لمن شكله ولوددت أنه ابني بنفيس ما أملك، ثم التفت إلى عمرو فقال: أبا عبدالله ما تراه منعه من الكلام معك، قال: ما لا خفاء به عنك، قال: أظنك تقول إنه هاب جوابك لا والله ولكنه ازدراك واستحقرك ولم يرك للكلام أهلاً أما رأيت إقباله علي دونك زاهداً بنفسه عنك، فقال عمرو: هل لك أن تسمع ما أعددته لجوابه، قال معاوية: اذهب إليك أبا عبدالله فلات حين جواب سائر اليوم ونهض معاوية وتفرق الناس.

وفي كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقي قال: حضر مجلس معاوية عبدالله بن عباس[1] وابن العاص فأقبل عبدالله بن جعفر فلما نظر

---

(١) عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) أمه أُم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، كان من علماء الصحابة، وكان يقال له حبر العرب وحبر الأمة، دعا له رسول الله وقال: اللهم علمه الحكمة.
قال ابن حجر: قال ابن مندة كان ابن عباس أبيض طويلاً مشرباً صفرة جسيماً وسيماً صبيح الوجه له وفرة يخضب بالحناء، وأسند عن أبي اسحاق رأيت ابن عباس رجلاً جسيماً قد شاب مقدم رأسه، وعن ابن عمر أنه كان يقرب ابن عباس ويقول إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاك ومسح رأسك وتفل في فيك وقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.
وفي ينابيع المودة إن ابن عباس قال يوماً: لو وجدت أحداً أعلم مني لأتيته وتعلمت منه، فقيل له ما تقول في علي بن أبي طالب فقال أولم آته، وكان من الملازمين لأمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لازم الحسنين عليهما السلام، والعلة في عدم خروجه مع الحسين عليه السلام هو ما روي أن بصره كان مكفوفاً يومئذٍ، وقد وردت في شأنه أخبار تنافي علمه وفضله وأكثرها من وضع الأمويين وأشباههم، أما ما ورد من طرقنا فقد تعرض لها علماء الرجال بما لا مزيد عليه فليراجعها من شاء، أما قضية أموال البصرة وكتاب أمير المؤمنين عليه السلام المذكور في نهج البلاغة وغيره، فقد قال المحققون إن المخاطب هو عبيدالله بن عباس لا عبدالله ونزهوا عبدالله من ذلك الدنس، والتحقيق في شرح النهج لابن أبي =

إليه ابن العاص، قال: قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغني محب للقيان كثير مزاحه، شديد طماحه، صدوف عن السنان، ظاهر الطيش، لين العيش، أخاذ بالسلف، منفاق بالسرف، فقال ابن عباس: والله أنت وليس كما ذكرت، ولكنه لله ذكور، ولنعمائه شكور، وعن الخنا زجور، جواد كريم، سيد حليم، ماجد هميم، ان ابتدأ أصاب، وإن سئل أجاب، غير حصر ولا هياب ولا فحاش عياب، حل من قريش في كريم النصاب كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام ليس يدعى لدعي، ولا يدنو لدني كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها، فأصبح ألأمها حسباً، وأدناها منصباً ينوء منها بالذليل، ويأوي منها إلى القليل، يتذبذب بين الحيين، كالساقط بين الفراشين، لا المضطر إليهم عرفوه، ولا الظاعن عنهم فقدوه وليت شعري بأي قدم تتعرض للرجال، وبأي حسب تبارز عند النضال، أبنفسك فأنت الوغد الزنيم، أم بمن تنتمي إليه فأهل السفه والطيش والدناءة في قريش لا بشرف في الجاهلية شهروا، ولا بقديم في الإسلام ذكروا، غير أنك تتكلم بغير لسانك، وتنطق بغير أركانك والله لكان أبين للفضل وأظهر للعدل، أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق، فإنه طالما سلس داؤك، وطمح بك رجاؤك إلى الغاية القصوى التي لم يخضرّ بها رعيك، ولم يورق بها غصنك. قال عبدالله بن جعفر: أقسمت عليك لما أمسكت، فإنك عني ناضلت ولي فاوضت، قال ابن عباس: دعني والعبد فإنه قد كان يهدر خالياً إذ لم يجد مرامياً، وقد أتيح له ضيغم شرس، وللاقران مفترس وللأرواح مختلس، فقال ابن العاص دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئاً، قال ابن عباس

= الحديد فراجع، وقد كتب العلامة الشهير السيد هبة الدين الشهرستاني سلمه الله رسالة جيدة في تنزيه عبدالله بن عباس، وكانت وفاة ابن عباس في الطائف سنة ثمان وستين وصلى عليه محمد ابن الحنفية.

دعه فلا يبقي المبقي إلا على نفسه فوالله إن قلبي لشديد، وإن جوابي لعتيد، وبالله الثقة، فإني كما قال نابغة بني ذبيان:

وقبلك ما قذعت وقاذعوني فما نزل الكلام ولا شجاني
يصد الشاعر العراف عني صدور البكر من قرم هجان

قال ابن حجر في الإصابة أخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي بسند حسن إلى محمد بن سيرين أن دهقاناً من أهل السواد كلم ابن جعفر في أن يكلم علياً في حاجة فكلمه فيها فقضاها فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً فقالوا أرسل بها الدهقان فردها، وقال: إنا لا نبيع معروفاً.

وأخرج الدارقطني في الأفراد من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين، قال جلب رجل من التجار سكراً إلى المدينة فكسد عليه فبلغ عبدالله فأمر قهرمانه أن يشتريه ويهبه الناس.

وأخرج الطبري والبيهقي من طريق ابن إسحاق المالكي قال: وجه يزيد بن معاوية إلى عبدالله بن جعفر مالاً جليلاً هدية ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئاً، وفي ذلك يقول عبدالله بن قيس الرقيات:

وما كنت إلا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقي له ذكرا

وقال أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن أبي أُسامة عن علي بن أبي حملة قال: كان يزيد أمر لعبدالله بن جعفر بألفي ألف درهم، قال الشماخ بن ضرار يمدح عبدالله بن جعفر:

إنك يا بن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
ورب ضيف طارق الحي سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

وكان عبدالله بن جعفر منقطعاً إلى عمه أمير المؤمنين عليه السلام ثم

إلى الحسنين عليهما السلام وله في الجمل وصفين والنهروان ذكر مشهور، أما عدم خروجه مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء فقد قيل إنه كان مكفوف البصر، ولما نعي إليه الحسين عليه السلام وبلغه قتل ولديه عون ومحمد كان جالساً في بيته ودخل عليه الناس يعزونه، فقال غلامه أبو اللسلاس هذا ما لقينا من الحسين[1] وكان الغلام قد ربى هذين الولدين فحذفه عبدالله بنعله، وقال له: يابن اللخناء أللحسين تقول هذا، والله لو شهدته لما فارقته حتى أُقتل معه، والله إنهما لمما يسخى بالنفس عنهما، ويهون علي المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه، ثم إنه أقبل على الجلساء فقال: الحمد لله أعزز علي بمصرع الحسين إن لم أكن واسيت الحسين بيدي فقد واسيته بولدي.

ومن أخبار عبدالله بن جعفر أنه خرج هو والحسنان عليهما السلام وأبو دحية الأنصاري من مكة إلى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجؤوا إلى خباء اعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الأعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبدالله للأعرابي: إن قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الأعرابي بعد سنين فقالت له امرأته: لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان، فقال: قد نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقي الحسن عليه السلام فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها، ثم أتى الحسين عليه السلام فقال: كفانا أبو محمد مؤنة الإبل فأمر له بألف شاة، ثم أتى عبدالله بن جعفر رضي الله عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فأمر له بمائة ألف درهم، ثم أتى أبا دحية فقال والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن ائتني بإبلك فأوقرها لك تمراً فلم يزل اليسار في عقب الأعرابي من ذلك اليوم.

ومنها: أنه خرج يوماً إلى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم

---

(١) ذكر هذه القصة ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٦٠.

وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى إليه بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبدالله ينظر إليه، فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم قال: ما رأيت، قال: فلم آثرت هذا الكلب، قال: إن أرضنا ما هي بأرض كلاب وإن هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أرده، قال فما أنت صانع اليوم، قال: أطوي يومي هذا، فقال عبدالله بن جعفر: أألام على السخاء وهذا العبد أسخى مني، ثم اشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل، فقال الغلام: إن كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى فاستعظم عبدالله ذلك منه، فقال: يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبداً.

وقيل إن الحسنين عليهما السلام قالا يوماً لعبدالله بن جعفر إنك قد أسرفت في بذل هذه الأموال وكان عبدالله بذلها لغير مستحقيها، فقال بأبي أنتما إن الله عز وجل عودني على التفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني المادة.

ولام الناس بعض الخلفاء وكان أرسل إلى عبدالله بن جعفر ثلاثة آلاف ألف فقال: والله ما أعطيته هذا المال إلا لجميع أهل المدينة، ثم لازم له من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فرآه فرق جميع ذلك المال على فقراء أهل المدينة وزاد عليه من أمواله.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: ويقولون إن أجواد العرب في الإسلام عشرة، فأجواد أهل الحجاز عبدالله بن جعفر، وعبيدالله بن عباس بن عبد المطلب، وسعيد بن العاص وأجواد أهل الكوفة عتاب بن ورقاء أحد بني رياح بن يربوع، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، وعكرمة بن ربعي الفياض أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وأجواد أهل البصرة عمرو بن عبيدالله بن معمر، وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي

ثم أحد بني مليح وهو طلحة الطلحات، وعبيدالله بن أبي بكرة وأجواد أهل الشام خالد بن عبدالله بن خالد بن أسد بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس، وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبدالله بن جعفر ولم يكن مسلم يبلغ مبلغه في الجود.

قال: وعوتب في ذلك فقال إن الله عودني عادة وعودت الناس عادة فأنا أخاف إن قطعتها قطعت عني.

ومدحه نصيب فأعطاه إبلًا وخيلًا وثياباً ودنانير ودراهم، فقيل له تعطي لهذا الأسود مثل هذا، فقال إن كان أسود فشعره أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى.

وقد قيل إن هذا الخبر مما جرى له مع عبدالله بن قيس الرقيات.

قال روى عنه ابناه اسماعيل ومعاوية، وأبو جعفر محمد بن علي والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وسعد بن إبراهيم الأكبر والشعبي ومورق العجلي وعبدالله بن شداد والحسن بن سعد وعباس بن سهل بن سعد وغيرهم.

وقال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب بعد أن ذكر أسماء الرواة عنه ما نصه: واخباره في الكرم شهيرة، قال ابن حبان كان يقال له قطب السخاء.

وذكر له ابن عساكر[1] ترجمة طويلة أطنب في ذكر كرمه وشرفه ومما قال ما نصه: روى الحافظ أن معاوية كان يقول بنو هاشم رجلان رسول الله ﷺ لكل خير ذكر، وعبدالله بن جعفر لكل شرف والله لكأن المجد نازل منزلاً لا يبلغه أحد وعبدالله نازل وسطه، وقال: قال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧ ص. ٣٢٥

الشعبي: دخل عبدالله بن جعفر على معاوية وعنده يزيد ابنه فجعل يزيد يعرض بعبدالله في كلامه وينسبه إلى الاسراف في غير مرضاة الله، فقال عبدالله ليزيد: إني لأرفع نفسي عن جوابك ولو صاحب السرير لأجبته فقال معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه؟ قال: إي والله ومنك ومن أبيك وجدك، فقال معاوية: ما كنت أحسب أن أحداً في عصر حرب بن أُمية أشرف من حرب بن أُمية، فقال عبدالله: بلى والله يا معاوية إن أشرف من حرب (من أكفأ عليه إناءه وأجاره برداءه) قال: صدقت يا أبا جعفر ثم ذكر الشعبي معنى قول عبدالله (من أكفأ عليه إناءه إلخ) وأنه عبد المطلب بن هاشم (لقصة طويلة)، وجاء شاعر إلى عبدالله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام ... كساني من الخز دراعه
شكوت إلى صاحبي أمرها ... فقال ستؤتى بها ساعه
سيكسوكها الماجد الجعفري ... ومن كفه الدهر نفاعه
ومن قال للجود لا تعدني ... فقال لك السمع والطاعه

فقال عبدالله لغلامه ادفع إليه جبتي الخز، ثم قال له: ويحك كيف لم تر جبتي الوشي التي اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب فقال أغفى غفية أُخرى فلعلي أراها في المنام فضحك منه عبدالله، وقال لغلامه: ادفع إليه جبتي الوشي أيضاً (انتهى ما ذكره ابن عساكر ملخصاً).

أما وفاة عبدالله فكانت بالمدينة سنة ثمانين أو أربع أو خمس وثمانين[1] عام الجحاف (سيل كان ببطن مكة جحف بالناس فذهب

---

(١) قال الداودي النسابة في عمدة الطالب ص ٢٢ من طبع النجف الأشرف ما نصه: مات عبدالله بالمدينة سنة ثمانين وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ودفن بالبقيع، وقيل مات بالابواء، وقال شيخنا أبو الحسن العمري مات عبدالله في زمان عبد الملك بن مروان وله تسعون سنة، وقال ابن عساكر قال هشام المخزومي أجمع أهل =

بالحاج والجمال بأحمالها وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان) وصلى عليه السجاد أو الباقر عليه السلام، وأمير المدينة يومئذٍ أبان بن عثمان.

قال في أسد الغابة: عبدالله بن جعفر أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، وتوفي سنة ثمانين عام الجحاف بالمدينة وأميرها أبان بن عثمان لعبد الملك بن مروان فحضر غسل عبدالله وكفنه والولائد خلف سريره قد شققن الجيوب، والناس يزدحمون على سريره، وأبان بن عثمان قد حمل السرير بين العمودين فما فارقه حتى وضعه بالبقيع ودموعه تسيل على خديه وهو يقول كنت والله خيراً لا شر فيك وكنت والله شريفاً واصلاً براً .

وخلف عبدالله بن جعفر[1] عدة أولاد، قال سبط ابن الجوزي: منهم جعفر الأكبر، وبه كان يكنى وأمه أُم عمرو بنت خراش بن بغيض وعلي، وعون الأكبر، ومحمد، وعباس، وأُم كلثوم وأُمهم زينب بنت علي عليه السلام وأُمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسن درج، وعون الأصغر قتل مع الحسين عليه السلام يوم الطفوف[2] ولا بقية له، وأُمهما

الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة على أنهم لم يسمعوا بيتين أحسن من بيتين رأوهما على قبر عبدالله بن جعفر وهما:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

(١) قال جمال الدين النسابة الداودي الحسني في عمدة الطالب ما نصه: ولد عبدالله عشرين ذكراً وقيل أربعة وعشرين: منهم معاوية بن عبدالله كان وصي أبيه، ومنهم علي الزينبي أُمه زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم إسحاق العريضي أُمه أُم ولد، ومنهم إسماعيل الزاهد قتيل بني أمية (أو بني أخيه) وهؤلاء الأربعة هم المعقبون من ولد عبدالله بن جعفر رحمه الله تعالى.

(٢) إن المقتول مع الحسين عليه السلام يوم الطفوف هو عون الأكبر الذي أُمه زينب بنت علي عليه السلام كما هو الصحيح الثابت وذهب إليه جمع من المؤرخين وأرباب المقاتل منهم الشيخ المفيد في الإرشاد، وأما عون الأصغر الذي أُمه جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري فإنه قتل في وقعة الحرة كما ذكره جمع من المؤرخين

جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري وأبو بكر، وعبيدالله، ومحمد وأُمهم الخوصاء بنت حفصة من بني بكر بن وائل، وصالح ويحيى لا بقية لهما، وهارون وموسى لا بقية لهما أيضاً، وجعفر وأُم أبيها، وأُم محمد وأُمهم ليلى بنت مسعود، وحميد، وأُم الحسن لأُم ولد، وجعفر، وأبو سعيد وأُمهما أُم الحسين بنت عمرو من بني صعصعة، ومعاوية، واسحاق ، وإسماعيل وقثم، وعباس، لأُمهات أولاد شتى.

= ووقعة الحرة من الوقائع المشهورة في الإسلام، وكانت في ذي الحجة سنة ٦٣ من الهجرة أيام يزيد بن معاوية لعنه الله، وذلك حين أنهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من صحابة النبي (ص) والقراء والتابعين وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري السفاك لعنه الله وعقيبها هلك يزيد الطاغية أخزاه الله.

أسفارها صلوات الله عليها

الأسفار التي سافرتها زينب صلوات الله عليها هي ثلاث وعلى قول النسابة العبيدلي هي أربع.

السفرة الأولى: كانت مع والدها أمير المؤمنين عليه السلام لما هاجر من المدينة إلى الكوفة، سافرت زينب عليها السلام هذه السفرة وهي في غاية العز، ونهاية الجلالة والاحتشام، يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالي والمجد محفوف بأبهة الخلافة، محاط بهيبة النبوة، مشتمل على السكينة والوقار فيه أبوها الكرار أمير المؤمنين عليه السلام واخوتها الحسنان سيدا شباب أهل الجنة، وحامل الراية العظمى محمد بن الحنفية، وقمر بني هاشم العباس بن علي، وزوجها الجواد عبدالله بن جعفر، وأبناء عمتها عبدالله بن عباس، وعبيدالله، واخوتهما، وبقية أبناء جعفر الطيار، وعقيل بن أبي طالب، وغيرهم من فتيان بني هاشم، وأتباعهم من رؤساء القبائل، وسادات العرب، مدججين بالسلاح غاصين في الحديد، والرايات ترفرف على رؤوسهم، وتخفق على هاماتهم وهي في غبطة وفرح وسرور، وكان موكبها في رجوعها إلى المدينة بعد صلح الحسن عليه السلام مع معاوية لا يقل عن هذا الموكب فخامة.

السفرة الثانية: سفرها مع أخيها الحسين عليه السلام من المدينة إلى

كربلاء، سافرت زينب عليها السلام في الموكب الحسيني المهيب من المدينة إلى كربلاء، في عز وجلال وحشمة ووقار، تحملها المحامل المزركشة المزينة بالحرير والديباج قد فرشت بالفرش الممهدة ووسدت بالوسائد المنضدة، تحت رعاية أخيها الحسين عليه السلام تحف بها الأبطال من عشيرتها، وتكتنفها الأسود الضارية من اخوتها وأبناء اخوتها وعمومتها، كأبي الفضل العباس، وعلي الأكبر، والقاسم بن الحسن، وأبناء جعفر وعقيل، وغيرهم من الهاشميين، والعبيد والاماء طوع أمرها، ورهن اشارتها.

السفرة الثالثة: سفرها من كربلاء إلى الكوفة بعد قتل أخيها الحسين عليه السلام وأصحابه الأبرار، ومن الكوفة إلى الشام تحت رعاية الظالمين الفجار، سافرت وهي حزينة القلب، كسيرة الخاطر باكية الطرف، ناحلة الجسم، مرتعدة الأعضاء، قد فارقت أعز الناس عليها، وأحبهم إليها، تحف بها النساء الأرامل، والأيامى الثواكل وأطفال يستغيثون من الجوع والعطش، وتحيط بها القوم اللئام من قتلة أهل بيتها وظالمي أهلها، وناهبي رحلها، كشمر بن ذي الجوشن، وزجر بن قيس وسنان بن أنس، وخولي بن يزيد الأصبحي، وحرملة بن كاهل، وحجار بن أبجر، وأمثالهم لعنهم الله وأخزاهم ممن لم يخلق الله في قلوبهم الرحمة، إذا دمعت عينها أهوت عليها السياط، وإن بكت أخاها لطمتها الأيدي القاسية، وهكذا كانت سفرتها هذه.

أما السفرة الرابعة: إلى مصر على قول النسابة العبيدلي، فسيأتي تفصيلها عند تحقيق مدفنها إن شاء الله تعالى وإليك تفصيل سفرها إلى كربلاء مع أخيها الحسين عليه السلام كما جاءت به الروايات المثبتة.

لما عزم الحسين عليه السلام على السفر من الحجاز إلى العراق استأذنت زينب عليها السلام من زوجها عبدالله بن جعفر أن تصاحب أخاها

الحسين عليه السلام في سفرته هذه فأذن لها، ومن حينها انتقلت إلى بيت أخيها عليه السلام، وتأهبت للخروج معه، ولما دخل عليه ابن عباس وأراد انصرافه عن المسير كان آخر ما تكلم به مع ابن عباس أن قال له، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت نبيهم من وطنه وداره وقراره، وحرم جده، وتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يريدون بذلك قتله، وسفك دمائه لم يشرك بالله شيئاً، ولم يرتكب منكراً ولا إثماً، قال له ابن عباس: جعلت فداك يا حسين إن كان لا بد من المسير إلىالكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك، فقال: يابن العم، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وقد أمر بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهم معي، فقال: يا بن العم إنهن ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا آمن عليهن أحداً وهن أيضاً لا يفارقنني، فسمع ابن عباس بكاء من ورائه وقائلة تقول يابن عباس تشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده، لا والله بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره، فبكى ابن عباس بكاء شديداً وجعل يقول يعز والله علي فراقك يابن العم.

قال في الكبريت الأحمر: فالتفت وإذا المتكلمة هي زينب عليها السلام كانت زينب تخص الحسين عليه السلام بالمحبة والمودة دون اخوتها، وكان عليه السلام يخصها كذلك.

وقد روى بعض الأجلاء أن هذه المحبة من زينب كانت للحسين عليه السلام من أيام طفولتها حتى إنها كانت لا تستقر إلا في جنبه عليه السلام وإن فاطمة أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فبكى وأخبر فاطمة بمصائبها واشتراكها في النائبات.

وذكر بعض حملة الآثار أن أمير المؤمنين عليه السلام لما زوج ابنته زينب عليها السلام من ابن أخيه عبدالله بن جعفر اشترط عليه في ضمن العقد

أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين عليه السلام، وأراد عبدالله بن جعفر أن يصرف الحسين عن سفره فلم ينصرف عليه السلام فلما يئس منه أمر ابنيه عوناً ومحمداً بالمسير معه، والملازمة في خدمته، والجهاد دونه عليه الصلاة والسلام.

ولما سار الحسين عليه السلام قاصداً الكوفة كان كل من يلقاه من الناس يحذره أهل الكوفة وغدرهم، وكان يقول عليه السلام أيم الله لتقتلني الفئة الباغية وليسلطن عليهم من يذلهم.

قال في المناقب ولما نزل الخزيمية أقام بها يوماً وليلة، فلما أصبح أقبلت إليه أُخته زينب عليها السلام فقالت يا أخي ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة، فقال الحسين عليه السلام وما ذاك يا أُختاه فقالت إني سمعت الليلة هاتفاً يقول:

ألا يا عين فاحتفظي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا ... بمقدار إلى انجاز وعد

فقال لها الحسين عليه السلام يا أُختاه كل الذي قضى فهو كائن.

وفي غيره من الكتب أنها عليها السلام لما سمعت ذلك من أخيها أيقنت بنزول البلاء واغرورقت عيناها بالدموع، وسكنت على نفسها مخافة أن يحس بذلك أحد من العيال.

زينب ومصائب كربلاء

إن المصائب التي ألمت بالصديقة الصغرى زينب الكبرى ابنة علي في كربلاء مصائب متنوعة.

منها: ما رأته أول ما نزلت في كربلاء من معارضة الحر وإجبار أخيها عليه السلام على النزول.

ومنها: ما شاهدته من القلة في أصحاب أخيها وكثرة جيوش الأعداء.

ومنها: ما شاهدته من تفرق من كان مع أخيها وذهاب الأكثر ممن تبعه حين خطبهم بخطبته المشهورة بعد ما بلغه خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة رضي الله عنهما فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً حتى لم يبق إلا الذين قتلوا معه.

ومنها: ما كانت تشاهده من اضطراب النساء وخوفهن حين نزلوا كربلاء.

ومنها: ما شاهدته من عطشها وعطش أهل بيتها عندما منعهم القوم الماء.

ومنها: ما كانت تقوم به من مداراة الأطفال والنساء وهم في صراخ

وعويل من العطش.

ومنها: ما كات تنظر إليه من الانكسار في وجه أخيها عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومنها: حين شاهدت إخوانها وبني إخوانها وبني عمومتها وشيعة أخيها يبارزون ويقتل الواحد منهم بعد الواحد.

ومنها: ما شاهدته من مقتل ولديها.

ومنها: حين شاهدت أخاها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين وقد أحاط به الأعداء من كل جانب ومكان.

ومنها: حين شاهدت رأس أخيها على الرمح دامي الوجه خضيب الشيبة.

ومنها: حين ازدحم القوم على رحل أخيها ومناديهم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين.

ومنها: حين أحرق القوم الخيام وفرت النساء والأطفال على وجوههم في البيداء.

ومنها: مرورها على مصرع أخيها ورؤيتها جسده الشريف ملقى على الأرض تسفي عليه الرياح.

ومنها: لما أركبوها النياق المهزولة هي والعيال والأطفال.

ومنها: مداراتها زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو من شدة مرضه لا يطيق الركوب وقد قيدوه من تحت بطن الناقة، وهناك مصائب وأُخر، أشدها أنها كانت تنظر إلى قتلة أخيها وأصحابه وهم يسرحون ويمرحون والسياط بأيديهم يضربون الأطفال والنساء وهم في غاية الشماتة بها وبأهل بيتها.

وبالجملة فإن مصائب هذه الحرة الطاهرة زادت على مصائب أخيها الحسين الشهيد عَلَيْهِ السَّلَامُ أضعافاً مضاعفة، فإنها شاركته في جميع

مصائبه وانفردت عنه عليها السلام بالمصائب التي رأتها بعد قتله من النهب والسلب والضرب وحرق الخيام والأسر وشماتة الأعداء.

أما القتل فإن الحسين عليه السلام قتل ومضى شهيداً إلى روح وريحان وجنة ورضوان، وكانت زينب في كل لحظة من لحظاتها تقتل قتلاً معنوياً بين أولئك الظالمين وتذري دماء القلب من جفونها القريحة، ونحن تحت هذا العنوان نذكر من أخبار الطف ما فيه اسم صريح لزينب عليها السلام، وإن كانت أم كلثوم الواردة في أكثر الموارد المراد بها هذه الطاهرة أيضاً بقرينة أن بعض الرواة يذكر اسم زينب في الخبر الذي يذكره غيره باسم أم كلثوم، ولأنها هي الرئيسة المطلقة للحرم الحسيني والكفيلة الوحيدة لعياله وأطفاله عليه السلام.

١ ـ قال السيد الأجل رضي الدين ابن طاووس (قده) ورد الحسين عليه السلام كربلاء في اليوم الثاني من المحرم فلما وصلها قال: ما اسم هذه الأرض فقيل كربلاء، فقال: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء، ثم قال: هذا موضع كرب وبلاء انزلوا، هاهنا محط ركابنا وسفك دمائنا وهنا محل قبورنا، بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلوا جميعاً ونزل الحر وأصحابه ناحية وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أُفٍ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلي ... ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنما الأمر إلى الجليل

قال: فسمعت زينب ابنة فاطمة عليها السلام ذلك، فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل، فقال: نعم يا أُختاه، فقالت زينب: واثكلاه ينعى الحسين إليَّ نفسه، قال: وبكين النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب

وجعلت أم كلثوم تنادي وامحمداه واعلياه واأُماه واأخاه واحسيناه واضيعتنا بعدك أبا عبدالله، قال: فعزاها الحسين عليه السلام وقال لها: يا أُختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان السموات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون، ثم قال: يا أُختاه يا أُم كلثوم وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب أُنظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً ولا تخمشن علي وجهاً ولا تقلن هجراً.

ثم قال السيد: وروي من طريق آخر(وذكر رواية المفيد التي سنذكرها بعد هذا) وقال رحمه الله بعد أن ذكر نزول الجيوش المقاتلة للحسين عليه السلام مع أميرهم عمر بن سعد كربلاء وتضييقهم على الحسين عليه السلام حتى نال منه العطش ومن أصحابه، فقام الحسين واتكأ على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته، فقال: أنشدكم الله هل تعرفونني، قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أُمي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عمي، قالوا اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله أنا متقلده، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا لابسها، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن علياً عليه السلام كان أول القوم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً، وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة، قالوا: اللهم نعم، قال: فبم تستحلون دمي وأبي الذائد على الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة،

قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً فلما خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأخته زينب كلامه بكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهن فوجه إليهن أخاه العباس عليهما السلام وعلياً ابنه، وقال لهما: سكتاهن فلعمري ليكثرن بكاؤهن.

٢ ـ قال المفيد طاب ثراه في الإرشاد، قال علي بن الحسين عليه السلام: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أُفٍ لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل	وكل حي سالك سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، وعرفت ما أراد فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أُمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن عليهما السلام يا خليفة الماضي وثمال الباقي فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أُخية لا يذهبن بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع، وقال: لو ترك القطا لنام، فقالت: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبي وأشد على نفسي، ثم لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقته فخرت مغشياً عليها، فقام إليها الحسين عليه السلام فصب على وجهها الماء، وقال لها: أُختاه اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ويبعث الخلق ويعيدهم وهو

فرد وحده، جدي خير مني وأبي خير مني وأُمي خير مني وأخي خير مني ولي ولكل مسلم برسول الله ﷺ أُسوة فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخية إني أقسمت عليك فأبري قسمي لا تشقي عليَّ جيباً، وتخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيستقبلوا القوم من وجه واحد والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفت بهم إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم ورجع عليه السلام إلى مكانه يصلي ويستغفر ويتضرع وقام أصحابه كذلك يصلون ويدعون ويستغفرون.

٣ ـ قال في اللهوف: ولما رأى الحسين عليه السلام حرص القوم على تعجيل القتال وقلة انتفاعهم بمواعظ الفعال والمقال، قال لأخيه العباس عليه السلام: إن استطعت أن تصرفهم عنا في هذا اليوم فافعل لعلنا نصلي لربنا في هذه الليلة فإنه يعلم أني أُحب الصلاة له وتلاوة كتابه، قال: فسألهم العباس ذلك، فتوقف عمر بن سعد وقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: والله لو أنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم آل محمد ﷺ فأجابوهم إلى ذلك فكان لهم في تلك الليلة دوي كدوي النحل من الصلاة والتلاوة، قال: وجلس الحسين عليه السلام فرقد ثم استيقظ، وقال يا أُختاه إني رأيت الساعة جدي محمداً ﷺ وأبي علياً وأُمي فاطمة وأخي الحسن وهم يقولون إنك يا حسين رائح إلينا عن قريب... قال: فلطمت زينب وجهها وصاحت فقال لها الحسين عليه السلام مهلاً لا تشمتي القوم بنا.

أقول: وفي الارشاد أن عمر بن سعد زحف نحو خيام الحسين بعد العصر من يوم التاسع وكان الحسين عليه السلام جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه

إذ خفق برأسه على ركبتيه فسمعت أُخته الضجة فدنت من أخيها فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت فرفع الحسين عليه السلام رأسه، فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الساعة في المنام فقال لي إنك تروح إلينا فلطمت أُخته وجهها ونادت بالويل، فقال لها الحسين عليه السلام ليس لك الويل اسكتي رحمك الله، ثم ذكر إرسال الحسين عليه السلام أخاه العباس وأخذه المهلة من القوم سواد الليلة العاشرة.

٤ ـ روى بعض ذوي الفضل أن الحسين لما نزل كربلاء ركز راية ولم يسلمها لأحد من أصحابه، فسئل عليه السلام فقال: سيأتي صاحبها فبينما هم ينتظرون وإذا هم بغبرة ثائرة، فقال الإمام لأصحابه هذا صاحب الراية قد أقبل وإذا هم بحبيب بن مظاهر(١) فقاموا وتنادوا! جاء حبيب

---

(١) هو حبيب بن مظاهر بن رئاب بن الأشتر بن جخوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، أبو القاسم الأسدي الفقعسي الصحابي، واختلف علماء الرجال في ضبط والد حبيب، ففي رجال الشيخ الطوسي ورجال ابن داود والتحرير الطاووسي أنه (مظاهر) فيكون على وزن مفاعل كمقاتل، وحكى الشهيد الثاني في حاشيته على الخلاصة عن ابن طاووس أنه وجده كذلك بخط عميد الرؤساء وصححه، وبه حدث أبو مخنف الثقة الثبت وعليه سار ابن الأثير الجزري في الكامل (ج ٤ ص ٨) وعند ابن حجر في الاصابة (ج ١ ص ٣٧٣) أنه (مظهر) فهو على وزن محمد، ومثله الدينوري في الأخبار الطوال (ص ٢٥٤) وابن نما في مثير الأحزان وضبطه العلامة رحمه الله في الخلاصة بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء بعدها الراء المهملة، ويشهد لهذا الرأي الرجز المنسوب له يوم الطف، فإنه على رواية ابن نما في مثير الأحزان وغيره هكذا (أنا حبيب وأبي مظهر) ولعل مناسبة الروي تساعد هذه الرواية دون ما في الرواية الأُخرى (أنا حبيب وأبي مظاهر) لمخالفتها لروي ما بعده، نعم شيخنا المامقاني في رجاله بعد أن اختار الرأي الأول حمل الرأي على الاغترار بما جرت به العادة من كتابة نظائره مثل إسماعيل وإسحاق والقاسم بغير ألف حتى تخيل أنه الأصل، وكيف كان فالمترجم (وهو حبيب) أجل من أن يطريه الكاتب وما عسى أن يقول فيه وهو ممن أودع عنده علم المنايا والبلايا، وإخباره ميثماً التمار بقتله وصلبه شاهد عدل على هذه الدعوى المدعومة بالبرهان، كيف لا وقد هد مقتله الحسين (ع) وهو الذي لا

فسمعت زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: من هذا الرجل الذي قد أقبل، فقيل لها حبيب بن مظاهر فقالت اقرأوه عني السلام فبلغوه سلامها، ولما كان اليوم العاشر من المحرم جاء حبيب وجلس إزاء خيمة النساء واضعاً رأسه في حجره وهو يبكي ثم رفع رأسه، وقال: آه آه لوجدك يا زينب يوم تحملين على بعير ظالع يطاف بك البلدان ورأس أخيك الحسين أمامك وكأني برأسي هذا معلق بلبان الفرس تضربه بركبتيها، فضربت زينب رأسها بعمود الخيمة، وقالت: بهذا أخبرني أخي البارحة.

٥ ـ لما قتل علي الأكبر[1] على ما رواه المفيد والسيد وغيرهما

= توازن بصبره الجبال، وإذ قد وضح ذلك لزهير بن القين قال له ما هذا الانكسار يابن رسول الله (ص) فقال: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي، ومما يؤسف عليه أن التاريخ لم يعين يوم ولادته لنعرف مقدار عمره، ويحدث صاحب كتاب ذخيرة الدارين (ص ١٩٢) عن دفنه حيث قبره الآن بأن أبا نعيم قال في حلية الأولياء إن بني أسد دفنوا حبيباً عند رأس الحسين (ع) حيث قبره الآن اعتناء بشأنه لأنه منهم ورئيسهم، فليلاحظ ونسب العلامة الكبير السيد محسن الأمين العاملي، ذلك في أعيان الشيعة (ج ٤) إلى قائل مجهول.

(١) لقد وقفنا على رسالة كتبها في ترجمة علي الأكبر العلامة البحاثة السيد عبد الرزاق المقرم فرأينا من المناسب النقل عنها وقد اختصرنا منها ما يلي:
ولد علي الأكبر (ويكنى بأبي الحسن) في حدود سنة ثلاث وثلاثين فله يوم الطف سبع وعشرون سنة، ويلقب بالأكبر لأنه أكبر من الإمام السجاد الذي له يوم الطف ثلاث وعشرون سنة كما يلقب الإمام بالأصغر، وعلى هذا بنى علماء النسب والتاريخ والسيرة، منهم ابن جرير الطبري في ذيل المذيل من التاريخ الكبير، وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٤ ومقاتل الطالبيين ص ٣١، ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٦٥، والتنبيه والإشراف له ص ٢٦٣، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٩ طبع النجف والمعارف لابن قتيبة ص ٩٣. والأخبار الطوال للدينوري ص ٣٥٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٩، ولواقح الأنوار للشعراني ص ٢٣ ج ١، ومرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ١٣١، والروض الآنف للسهيلي ج ٢ ص ٣٢٦، وشذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٦٦، ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمة السجاد، وغرر الخصائص للوطواط ص ٢٧٤، وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ١٥٢ وتذكرة =

ـ جاء الحسين عليه السلام حتى وقف عليه فقال: قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول صلى الله عليه وآله وانهملت عيناه بالدموع، قالوا وخرجت زينب أُخت الحسين عليه السلام تنادي يا حبيباه وابن أخاه وجاءت حتى انكبت عليه فأخذ الحسين عليه السلام برأسها فردها إلى الفسطاط وقال لفتيانه: احملوا أخاكم فحملوه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه، وهناك تأمل ما جرى على زينب وبقية النساء.

وفي الايقاد للعلامة الشاه عبد العظيمي طاب ثراه روي أن زينب

= السبط ص ١٤٥، ومطالب السؤول لابن طلحة ص ١٤٣، ونور الأبصار للشبلنجي ص ١٢٥، واسعاف الراغبين بهامشه ص ١٩٤، والفصول المهمة لابن الصباغ، وكشف الغمة ص ١٨٦ ومزار السرائر لابن ادريس الحلي، والنفحة العنبرية في النسب، والمجدي للعمري في النسب ومنظومة الحر العاملي ـ وهذه الثلاثة مخطوطة، وشفاء الصدور في شرح زيارة عاشوراء بالفارسية، والأنوار النعمانية، وحكى العلامة الأستاذ الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي ذلك عن جلاء العيون للمجلسي وتذكرة الأئمة للمولى محمد باقر اللاهيجي، ومفتاح النجاة للحارثي البدخشي وكفاية الأثر للخزاز الرازي، إلى غيرها.

وأما أُمه ليلى فهي ابنة أبي مرة بن عروة الثقفي أحد العظيمين المعني بقوله تعالى **﴿وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾** أسلم عروة سنة تسع من الهجرة ورجع إلى قومه وبينا يؤذن للصلاة رماه أحدهم بسهم فمات وخرج ولده أبو مرة وأبو المليح إلى النبي (ص) واعلماه بقتله وأسلما ورجعا إلى الطائف مسلمين، وأما فضل علي الأكبر فحدث عنه ولا حرج، ويكفينا في القناعة بذلك كلمة الحسين الذهبية: اللهم اشهد عليهم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس برسولك خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، فإنها ترشدنا إلى أن الأكبر كان في وقته مرآة الجمال النبوي ومثال كماله الأسمى، وانموذجاً من منطقة البليغ الرائع، حتى إن أباه إذا اشتاق إلى محيا الرسول (ص) الأبهج عطف نظره إليه، أو أراد سماع صوته المبهج أصاخ إلى قيله، أو أراد تجديد العهد بتلكم الخلائق الكريمة توجه بكله إليه، أضف إلى ذلك تخصيص الإمام الصادق (ع) بزيارة خاصة له على أن لعامة الشهداء وفيهم ولد أمير المؤمنين والحسن وعقيل وجعفر زيارة تعمهم، وليس ذلك إلا من جهة تبرز الأكبر الظاهر ومنزلته العالية وأخذه بكل فضيلة (انتهى).

خرجت مسرعة تنادي بالويل والثبور وتقول: يا حبيباه يا ثمرة فؤاداه يا نور عيناه واولداه واقتيلاه واقلة ناصراه واغربتاه وامهجة قلباه ليتني كنت قبل اليوم عمياء وليتني وسدت الثرى، فجاءت وانكبت عليه، فبكى الحسين عليه السلام رحمة لبكائها، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وجاء وأخذ بيدها إلى الفسطاط، قال: وروي أن سكينة لما رأت نعْشه وقعت عليه وغشي عليها.

٦ ـ قال في اللهوف: ولما رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبته عزم على لقاء القوم بمهجته، ونادى هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل من موحد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا، هل من معين يرجو الله في اعانتنا، فارتفعت أصوات النساء بالعويل فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب عليها السلام ناوليني ولدي الصغير حتى أُودعه، فأخذه وأومأ إليه ليقبله فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب خذيه ثم تلقى الدم بكفيه، ثم قال: هون علي ما نزل بي أنه بعين الله تعالى، قال الباقر عليه السلام: فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

٧ ـ لما بقي الحسين عليه السلام وحيداً بعد أصحابه الكرام جاء إلى خيمة العيال ونادى: يا زينب يا أُم كلثوم يا فاطمة يا سكينة يا فلانة يا فلانة (يناديهن بأسمائهن) عليكم مني السلام، فقالت سكينة يا أبت استسلمت للموت، فقال يا بنية كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين فقالت يا أبتاه ردنا إلى حرم جدنا فقال عليه السلام هيهات لو ترك القطا لنام ليلاً، فتصارخن النساء فسكتهن عليه السلام وقال البكاء أمامكن، وأوصى أُخته زينب عليها السلام بالعيال والأطفال، ثم قال عليه السلام: آتوني بثوب لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابي، فأتته بتبان فرماه من يده وقال هذا لباس من ضربت عليه الذلة فأتته بثوب خلق فخرقه وجعله

تحت ثيابه ثم استدعى بسراويل ففزرها ولبسها وتوجه للقتال (الخبر).

٨ ـ قال المفيد في الارشاد والسيد في اللهوف واللفظ للثاني: وقف الحسين يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه، فقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي أنت تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره، ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كالميزاب فضعف عن القتال ووقف، فكلما أتاه رجل انصرف عنه كراهة أن يلقى الله بدمه حتى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر فشتم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً، قال: فاستدعى الحسين عليه السلام بخرقة فشد بها رأسه واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتم عليها فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به فخرج عبدالله بن الحسن بن علي[١] وهو غلام لم يراهق من عند النساء فلحقته زينب بنت علي لتحبسه فأبى وامتنع امتناعاً شديداً وقال: لا والله لا أُفارق عمي فأهوى أبحر بن كعب (وقيل) حرملة بن كاهل إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمي فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فنادى الغلام يا عماه فأخذه الحسين عليه السلام وضمه إليه، وقال: يابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين، قال: فرماه حرملة بن كاهل لعنه الله بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام.

---

(١) قال أبو الفرج: أُمه بنت الشليل بن عبدالله أخي جرير بن عبد الله البجلي، وقيل إن أُمه أُم ولد، قال: وكان أبو جعفر محمد بن علي (ع) فيما رويناه عنه يذكر أن حرملة قتله، وذكر المدائني في إسناده عن هاني بن ثبيت القابضي أن رجلاً منهم قتله.

٩ ـ قال السيد: قال الراوي ولما أثخن الحسين عليه السلام بالجراح طعنه صالح بن وهب لعنه الله على خاصرته طعنة فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ثم قام عليه السلام قال الراوي: وخرجت زينب بنت علي من باب الفسطاط وهي تنادي: واأخاه واسيداه واأهل بيتاه ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل، قال: وصاح شمر لعنه الله بأصحابه ما تنتظرون بالرجل قال فحملوا عليه من كل جانب (ثم ذكر مقتله عليه السلام).

وقال المفيد رحمه الله: وخرجت أُخته زينب إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبي وقاص ويلك يا عمر أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه فلم يجبها عمر بشيء فنادت ويحكم أما فيكم مسلم فلم يجبها أحد.

وفي مقتل أبي مخنف قال حميد بن مسلم: وخرجت زينب بنت علي عليها السلام وهي تقول: ليت السماء انطبقت على الأرض يا عمر بن سعد أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه، ودموع عمر تسيل على خده ولحيته المشؤومة وهو يصرف وجهه عنها والحسين عليه السلام جالس وعليه جبة خز وقد تحاماه الناس فنادى شمر ويلكم ما تنتظرون به اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم ثم ذكر مقتله عليه السلام. وفي الدمعة الساكبة عن ابن رياح أنه قال شهدت وقعة كربلاء فلما قتل الحسين عليه السلام أتته امرأة وهي تعثر بأذيالها حتى سقطت على الأرض، ثم قامت تنادي واحسيناه وإماماه واقتيلاه واخاه، ثم إنها أتت إلى جسده وهو جثة بلا رأس فلما رأته اعتنقته وشهقت شهقات متتابعات حتى أبكت كل من كان حاضراً فسألت عنها، فقالوا: هي زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ ـ قال المفيد رحمه الله لما قتل الحسين عليه السلام وانتهبوا رحله وابله وأثقاله، قال حميد بن مسلم فوالله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته

وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه.

وفي الايقاد: أقبلوا حتى أحدقوا بالخيمة ومعهم الشمر، فقال: ادخلوا فاسلبوا زينتهن فدخل القوم فأخذوا ما كان في الخيمة حتى أفضوا إلى قرط كان في أُذن أُم كلثوم أُخت الحسين عليه السلام فأخذوه وخرموا أذنها.

وفيه: لما ارتفع صياح النساء صاح ابن سعد ويلكم اكبسوا عليهن الخباء وأضرموها ناراً فأحرقوها.

وفي الدمعة الساكبة قال أبو مخنف قالت زينب بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام كنت في ذلك الوقت واقفة في الخيمة إذ دخل رجل أزرق العينين فأخذ ما كان في الخيمة ونظر إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو على نطع من الأديم وكان مريضاً فجذب النطع من تحته ورماه إلى الأرض والتفت إلي وأخذ القناع من رأسي ونظر إلى قرطين كانا في أُذني فجعل يعالجهما وهو يبكي حتى نزعهما، فقلت: تسلبني وأنت تبكي، فقال اللعين: أبكي لمصابكم أهل البيت، فقلت له: قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله بنار الدنيا قبل نار الآخرة (ثم ساق الكلام إلى استجابة دعائها على يد المختار وقد تقدم عن نور العين).

وفي معدن البكاء: وهم الشمر لعنه الله بقتل ابن الحسين عليه السلام وهو مريض فخرجت إليه زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام فوقعت عليه وقالت: والله لا يقتل حتى أُقتل فكف عنه.

وفي الايقاد عن مقتل ابن العربي ما مضمونه أن الحسين عليه السلام عند وداعه أوصى إلى أُخته زينب بجمع العيال بعد أن يحرقوا الأعداء الخيام فبعد أن أحرقوا الخيام وتفرقت الأطفال ذهبت زينب في جمعها ففقدت طفلين للحسين عليه السلام فذهبت في طلبهما فرأتهما معتنقين نائمين

على الأرض، فلما حركتهما فإذا هما ميتين عطشاً، ولما سمع بذلك العسكر قالوا لابن سعد: رخص لنا في سقي العيال، فلما جاءوا بالماء كان الأطفال يعرضون عن الماء ويقولون كيف نسقى وقد قتل ابن رسول الله عطشاناً.

وها هنا خبر لأبي مخنف لا بأس بذكره قال: لما سقط الحسين عليه السلام من ظهر جواده إلى الأرض أقبل فرسه إلى الخيام، فلما سمعت زينب صهيله أقبلت على سكينة وقالت لها: جاء أبوك بالماء، فخرجت سكينة فرأت الجواد عارياً والسرج خالياً فنادت: واقتيلاه واأبتاه واحسناه واحسيناه واغربتاه وابعد سفراه واكربتاه فلما سمع باقي الحرم خرجن فنظرن الفرس فجعلن يلطمن الخدود ويقلن وامحمداه واعلياه واحسناه واحسيناه اليوم مات محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء (إلخ).

تسييرها من كربلاء إلى الكوفة
وما رأته من المصائب

لما عزم ابن سعد على الرحيل من كربلاء، أمر بحمل النساء والأطفال على أقتاب الجمال ومروا بهن على مصارع الشهداء، فلما نظرن النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن وفيهن زينب بنت علي عليها السلام تنادي بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء وبناتك سبايا إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمدا، هذا حسين بالعرا، تسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه واكرباه عليك يا أبا عبدالله، اليوم مات جدي رسول الله، يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرية المصطفى، يساقون سوق السبايا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردى، بأبي من أضحى معسكره يوم الاثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطع العرى بأبي من لا غائب فيرجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفدا، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبه يقطر بالدما بأبي من جده محمد المصطفى، بأبي

من جده رسول إلّه السماء، بأبي من هو سبط نبي الهدى، بأبي محمد المصطفى، بأبي خديجة الكبرى، بأبي علي المرتضى بأبي فاطمة الزهراء، بأبي من ردت عليه الشمس حتى صلى فأبكت كل عدو وصديق.

في البحار والعوالم عن بعض الكتب المعتبرة روي مرسلاً عن مسلم الجصّاص، قال: دعاني ابن زياد لعنه الله لإصلاح دار الامارة بالكوفة فبينما أنا أُجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: مالي أرى الكوفة تضج، قال الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت من هذا الخارجي، فقال الحسين بن علي، قال فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن يذهبا وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبلت نحو عشرين شقة يحملن على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام، وإذا بعلي بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً وهو مع ذلك يبكي ويقول.

يا أُمة السوء لا سقياً لربعكم	يا أُمة لم تراع أحمداً فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الأقتاب عارية	كأننا لم نشيد فيكم دينا
بني أُمية ما هذا الوقوف على	هذي المصائب لم تصغوا لداعينا
تصفقون علينا كفكم فرحاً	وأنتم في فجاج الأرض تسبونا
أليس جدي رسول الله ويلكم	أهدى البرية من سبل المضلينا
يا وقعة الطف قد أورثتني حزناً	والله يهتك أستار المسيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين هم على المحامل

بعض التمر والخبز والجوز فصاحت بهم أُم كلثوم، وقالت: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض، قال: كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم، ثم إن أُم كلثوم اطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة يقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء، فبينما هي تخاطبهم وإذا بضجة قد ارتفعت وإذا هم أتوا برأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحيته كسواد السبج قد اتصل بها الخضاب ووجهه دارة قمر طالع، والريح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومت إليه بحرقة وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتم كمالا ... غاله خسفه فأبدى غروبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي ... كان هذا مقدراً مكتوبا

أقول: وهذا الخبر رواه الفاضل الطريحي في المنتخب أيضاً والظاهر أنه هو المنقول عنه.

خطبت خطبتها التي نقلناها في عنوان بلاغتها التي أولها بعد الحمد والصلاة، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختر والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة.

لما أدخلوا الأُسارى مجلس ابن زياد لعنه الله وجرى بين ذلك الخبيث وبين زينب عليها السلام من الكلام ما نقلناه في عنوان بلاغتها وفصاحتها، غار علي بن الحسين عليه السلام على عمته، فصاح: يابن زياد إلى كم تهتك عمتي بين من يعرفها وبين من لا يعرفها، فالتفت إليه وقال: من أنت قال: أنا علي بن الحسين، فقال: أليس الله قد قتل علي بن الحسين فقال عليه السلام: قد كان لي أخ يسمى

علياً[1] قتله الناس بأسيافهم فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فقال ابن زياد: أولك جرأة على جوابي وفيك بقية للرد يا غلمان اذهبوا به واضربوا عنقه، فأتته الجلاوزة فتعلقت به عمته زينب عليها السلام فقالت يابن زياد حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أُفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، هذه رواية المفيد رحمه الله.

وقال في اللهوف فقالت: يا بن زياد إنك لم تبق منا أحداً فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه فقال علي بن الحسين عليه السلام لعمته أُسكتي يا عمة حتى أُكلمه، ثم أقبل عليه وقال: أبالقتل تهددني يابن زياد أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة (قال المفيد) فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال عجباً للرحم والله إن لأظنها ودت أني قتلتها معه دعوه فإني أراه لما به مشغولاً.

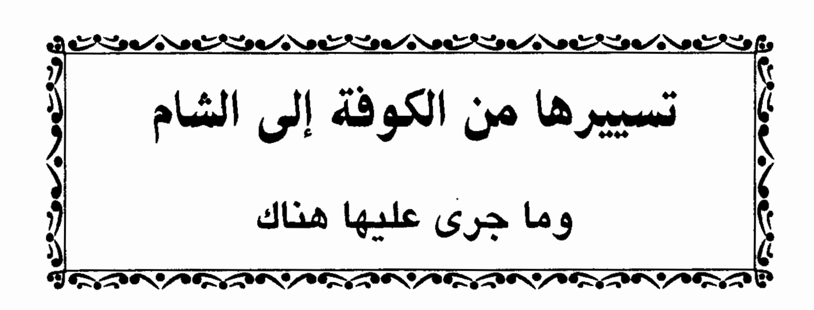
قال رواة الوقعة[2]: أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام ومن معه

---

(1) في المنتخب من ذيل المذيل لابن جرير الطبري ص ٨٨، قال السجاد (ع) لابن زياد كان لي أخ أكبر مني يقال له علي قتله الناس (الخ)، ومثله أبو الفرج في المقاتل ص ٣١، وكانت ولادة الإمام السجاد (ع) بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة أيام خلافة جده أمير المؤمنين عليه السلام وذلك أن عامله عين على جانب من المشرق حريث بن جابر الحنفي أصاب بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى فنحل ابنه الحسين (ع) شاه زنان فأولدها زين العابدين (ع) ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فأولدها القاسم وهذا هو الصحيح الذي أثبته شيخنا المفيد رحمه الله تعالى في الارشاد، وأما الرواية الأخرى الحاكية تزويج الحسين من شاه زنان أيام عمر بن الخطاب فليس لها نصيب من الصحة، كالقول بأنها أتلفت نفسها بالفرات لما جيء بها سبية مع آل الحسين (ع) فإنها ماتت بالنفاس، فأين هي ويوم الطف، وبقي السجاد مع جده سنتين وشهوراً، ومع عمه الحسن عشر سنين، ومع أبيه عشر سنين وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة، وتوفي بالمدينة لخمس بقين من المحرم سنة ٩٥ عن ست وخمسين سنة وشهور.

(2) منهم السيد ابن طاوس في اللهوف والخوارزمي في المقتل.

من الأسارى فحملوا إلى دار إلى جنب المسجد الأعظم، فقالت زينب بنت علي عليها السلام: لا تدخلن علينا عربية إلاَّ أُم ولد أو مملوكة فإنهن سبين كما سبينا وأقمن المأتم تلك الليلة إلى الصباح. وفي روضة الواعظين أن ابن زياد حبسهم في سجن وضيق عليهم.



تسييرها من الكوفة إلى الشام

وما جرى عليها هناك

المصائب التي جرت على زينب (عليها السلام) في طريق الشام كثيرة جداً، كالمصائب الجارية عليها في طريقها من كربلاء إلى الكوفة، وحيث إني التزمت أن لا أذكر من الأخبار إلا ما اشتمل على ذكرها (عليها السلام) صريحاً أعرضت عن تلك المصائب العامة التي لم يصرح فيها باسمها، سيما وأن أكثرها مما لا يمكن التعويل عليه لكثرة ما فيه من الاضطراب والتشويش.

قال السيد ابن طاوس قال الراوي: ثم أُدخل ثقل الحسين (عليه السلام) ونساؤه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون في الحبال فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، قال له علي بن الحسين (عليه السلام): أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله (صلى الله عليه وآله) لو رآنا على هذه الصفة، فأمر يزيد بالحبال فقطعت، ثم وضع رأس الحسين (عليه السلام) بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرون إليه، وأما زينب (عليها السلام) فإنها لما رأته أهوت إلى جيبها فشقته، ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يابن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يابن بنت المصطفى، فأبكت والله كل من كان في

المجلس ويزيد ساكت.

عن مقتل ابن عصفور أن بعض الأوغاد الطغام قال في مجلس يزيد لعنه الله: إن الحسين جاء في نفر من أصحابه وعترته فهجمنا عليهم وكان يلوذ بعضهم بالبعض فلم تمض ساعة إلا وقتلناهم عن آخرهم، فقالت الصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها: ثكلتك الثواكل أيها الكذاب إن سيف أخي الحسين لم يترك في الكوفة بيتاً إلا وفيه باك وباكية ونائح ونائحة.

وفي المنتخب نقل أنه لما دعا يزيد بسبي الحسين عليه السلام وعرضوا عليه قالت زينب بنت علي عليه السلام: يا يزيد أما تخاف الله سبحانه من قتل الحسين، وما كفاك حتى تستحث حرم رسول الله من العراق إلى الشام، وما كفاك انتهاك حرمتهن حتى تسوقنا إليك كما تساق الإماء على المطايا بغير وطاء من بلد إلى بلد، فقال يزيد: إن أخاك الحسين قال: أنا خير من يزيد وأبي خير من أبيه وأُمي خير من أُمه وجدي خير من جده، فقد صدق في بعض وألحن في بعض، أما جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو خير البرية، وأما أن أُمه خير من أُمي وأباه خير من أبي، فكيف ذلك وقد حاكم أبوه أبي فغلبه أبي ثم قرأ ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية، فقالت ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ ثم قالت: يا يزيد ما قتل الحسين غيرك ولولاك لكان ابن مرجانة أقل وأذل أما خشيت من الله بقتله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أخيه: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فإن قلت لا فقد كذبت، وإن قلت نعم فقد خصمت نفسك، فقال يزيد: ذرية بعضها من بعض وبقي خجلاً.

لما رأت يزيد يضرب ثنايا أخيها عليه السلام وهو ينشد أبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

قامت وقالت الحمد لله، إلى آخر الخطبة التي نقلناها تحت عنوان فصاحتها وبلاغتها.

كلامها مع يزيد لعنه الله حين طلب الشامي الأحمر فاطمة بنت الحسين[1] من يزيد بقوله هب لي هذه الجارية، وقد تقدم في عنوان فصاحتها عليها السلام.

قال ابن جرير الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل[2] لما أرجعهم يزيد إلى المدينة بصحبة رجل من أهل الشام وشاهد عيال الحسين منه الفعل الجميل في حلهم وارتحالهم، قالت فاطمة ابنة علي لأختها زينب: يا أُخية لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لك أن نصله قالت زينب ما معنا إلا حلينا فأخذت سواري ودملجي وأخذت سوارها ودملجها وبعثنا به إليه. واعتذرنا من قلته فقال لهم الرسول إني لم أفعل معكم ذلك إلا لقرابتكم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس لي طمع في الدنيا.

---

(١) هذا برواية الشيخ المفيد في الإرشاد والطبرسي في أعلام الورى وابن نما في مثير الأحزان وابن طاوس في اللهوف، ولكن عند ابن جرير في تاريخه ج ٦ ص ٢٦٥، وابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٣٥ والفتال في روضة الواعظين ص ١٦٤، والصدوق في المجالس ص ١٠١ مجلس ٣١ أنها فاطمة ابنة علي (ع) وعبارتهم (فأخذت بثياب أختي زينب) وكانت أكبر وأعقل (الخ).

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٣٦.

رجوعها من الشام إلى المدينة

قال المفيد في الإرشاد ندب يزيد النعمان بن بشير وقال له: تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة إلى المدينة وأنفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدم إليه أن يسير بهم في الليل ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا انتحى عنهم، وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إن أراد إنسان من جماعتهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم فسار معهم في جملة النعمان، ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد حتى دخلوا المدينة.

وقال السيد ابن طاوس لما بلغوا العراق قالوا للدليل مر بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر[1] بن عبدالله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول عليهم السلام قد

(١) جابر بن عبدالله بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، كنيته أبو عبدالله، من أجلاء الصحابة، وردت في فضله أخبار كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام، وكان من المنقطعين إليهم عاش إلى أن رأى الباقر (ع) وابلغه سلام النبي (ص) وهو أول من زار الحسين (ع) بعد قتله، وكان يقول غزا رسول الله (ص) إحدى وعشرين غزوة شهدت منها تسع عشرة غزوة، مات سنة ٧٨، وعاش أربعاً وتسعين عاماً.

وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً، قال ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة، قال بشر بن حذلم فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين عليه السلام فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه، وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه، فقلت بلى يابن رسول الله إني لشاعر، فقال عليه السلام أدخل المدينة وانع أبا عبدالله عليه السلام قال بشر فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها   قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلا مضرج   والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم، أعرفكم مكانه، قال فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن، مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعين بالويل والثبور، فلم أر باكياً وباكية أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمر على المسلمين منه. وساق الكلام إلى خطبة السجاد عليه السلام.

وقال أبو مخنف في مقتله بعد نقله نظير ما نقله السيد رحمه الله ثم قام السجاد عليه السلام يمشي إلى أن دخل المدينة، فلما دخلها زار جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم دخل منزله (وفي المنتخب) وأما أُم كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكي وتقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا   فبالحسرات والأحزان جينا[1]

---

(١) هذا البيت من قصيدة يغلب على أن أكثرها أو كلها ليس من نظمها بل من نظم =

قال: وأما زينب عليها السلام فأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين، وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ونقل مثل ذلك في البحار والعوالم. ولا تفتر من البكاء والنحيب وكلما نظرت إلى علي بن الحسين عليه السلام تجدد حزنها وزاد وجدها.

وقد عنَّ لي أن أختم هذا العنوان بأبيات تخص زينب من منظومة الحجة الكبير الشيخ هادي كاشف الغطاء رحمه الله يفصل فيها مصائب زينب عليها السلام قال رحمه الله:

لله صبـــر زينـــب العقيلـــه	كـم صـابـرت مصـائبـاً مهـولـه
رأت مـن الخطـوب والـرزايـا	أمـراً تهـون دونـه المنـايـا
رأت كـرام قـومهـا الأمـاجـد	مجـزريـن فـي صعيـد واحـد
تسفـي علـى جسـومهـا الـريـاح	وهـي لـذؤبـان الفـلا تبـاح
رأت عـزيـز قـومهـا صـريعـا	قـد وزعـوه بـالضبـا تـوزيعـا
رأت رؤوسـاً بـالقنـا تشـال	وجثثـاً أكفـانهـا الـرمـال
رأت رضيعـاً بـالسهـام يفطـم	وصبيـة بعـد أبيهـم أُيتمـوا
رأت شمـاتـة العـدو فيهـا	وصنعـه مـا شـاء فـي أخيهـا
رأت عنـا أسـراً هـوانـاً ذلا	ظلمـاً جفـاً جـوراً سبـايـا ثكـلا
وإن من أدهى الخطوب السود	وقـوفهـا بيـن يـدي يـزيـد

= غيرها من المتأخرين فلاحظه.

وفاتها ودفنها سلام الله عليها

إن من المأسوف عليه أن حملة التأريخ على توسعهم في سرد القصص والأحوال في أشياء كثيرة ربما يكون القارىء في غنى عنها أهملوا حقائق من التاريخ تمس إليها حاجة المنقب، وتساق إليها طلبة الباحث، ولسنا الآن في صدد الأسباب الباعثة على ذلك ولعلها لا تخفى على الناقد البصير، غير أن المهم في هذا الكتاب هي ناحية واحدة أصبحت من مواضيعه وهو البحث عن وفاة (عقيلة بني هاشم زينب الكبرى) وتحري الوقوف على مدفنها، وإن كانت المصادر التي نستمد منها لا تخلو جملة منها من تشويش واضطراب، وعلى العلات فنحن نقدّم إلى القارىء الكريم ما قيل في ذلك ونحيل الحكم إليه.

فقيل: إنها توفيت ودفنت في المدينة المنورة، وكان ذلك بعد رجوعهم من الشام، ذكره صاحب الطراز عن بحر المصائب، ولو صح هذا لبقي لعظيمة بيت الوحي أثر خالد ومشهد يزار كما بقي لمن دونها في المرتبة من بني هاشم بل لمن يمت إليهم بالولاء من رجالات الأُمة.

وقيل: إنها توفيت حوالي الشام، نقله صاحب الطراز أيضاً عن أنوار الشهادة وبحر المصائب، في تفصيل لا مقيل له من ظل الحقيقة

وهو بالروايات الخرافية أشبه فالإعراض عنه أجدر.

وقيل: إنها توفيت في الشام، نقله في الطراز أيضاً عن كنز الأنساب، لكن قائله تفرد برواية قصة في ذلك لم تتأكد.

وقيل: إنها توفيت في إحدى قرى الشام، نسبه في الطراز أيضاً إلى بعض المتأخرين، وتلهج الألسن في سبب ذلك بحديث المجاعة التي أصابت أهل المدينة المنورة فهاجرت مع زوجها عبدالله إلى الشام وتوفيت هنالك.

وهو حديث لا أثر له في كتب التأريخ والسير والأنساب والتراجم ولم يذكره المنقبون في الآثار ممن كتب في أهل البيت، كالكليني والصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي وابن شهرآشوب، والطبرسي، وابن الفتال، والعلامة الحلي، وابن طاوس، والوزير الإربلي، والمجلسي الذي جمع فأوعى، وقد احتوت مكتبته على ما لا يوجد في غيرها من آلاف الكتب، وتبرز هو في الإحاطة بالسير والآثار وأخبار أهل البيت عليهم السلام، إلى غيرهم كسبط ابن الجوزي وابن الصباغ المالكي، وابن طلحة الشافعي، والحافظ الكنجي، وابن الصبان، والشبلنجي، والمحب الطبري، والبدخشي، والسيد علي الهمداني إلى نظرائهم، وما أدري (ولا المنجم يدري) من أين جاء القائل بحديث المجاعة وقد خلت عنه زبر الأولين الذين هم أقرب عهداً بأمثال هذه الوقائع من هذا القائل وذويه وأغرب من ذلك أن بعض من (يدعي وصلاً بليلى) عزاه إلى كتاب لم نجده فيه بعد الفحص والتتبع.

وذكر النسابة العبيدلي[1] في أخبار الزينبات على ما حكاه عنه

---

(١) هو شيخ الشرف أبو الحسين يحيى بن الحسن العقيقي بن جعفر الحجة ابن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر ابن الإمام السجاد عليه السلام العبيدلي النسابة، ولد سنة ٢١٤ هـ وتوفي سنة ٢٧٧ هـ، أول من صنف في نسب الطالبيين كما في عمدة =

مؤلف كتاب (السيدة زينب) ص ٢١ أن زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بني أُمية إلى المدينة أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية فخاف (عمرو بن سعد الأشدق) انتقاض الأمر فكتب إلى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت فأبت الخروج من المدينة، وقالت: قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا وسقنا كما تساق الأنعام وحملنا على الأقتاب فوالله لا أخرج وإن أُهرقت دماؤنا فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء، فطيبي نفساً وقري عيناً وسيجزي الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً ارحلي إلى بلد آمن ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام فاختارت (مصر) وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة ابنة الحسين

= الطالب، وهو من مشاهير أصحاب القاسم الرسي كما في (مطلع البدور) وتوفي الرسي سنة ٢٤٦ هـ، وينقل عن المترجم السيد أحمد العبيدلي في تذكرة النسب وجعل رمزه (يح) ويروى كتابه نسب آل أبي طالب شيخ الشرف أبو الحسين محمد بن أبي جعفر محمد العبيدلي بن علي الجواد بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي الصالح بن عبيدالله الأعرج.. النسابة المتوفى سنة ٤٣٥، يروي الكتاب المذكور عن حفيد المؤلف أبي محمد الحسن بن أبي الحسن محمد الأكبر ابن أبي الحسين يحيى المؤلف، ويعرف أبو محمد هذا (بالدنداني) النسابة، ويعرف أيضاً بابن أخي طاهر لأن عمه طاهر بن يحيى المترجم من المشاهير وينسب إليه جماعة، فالملقب بشيخ الشرف من النسابة العبيدليين رجلان (أحدهما) يحيى المترجم من أهل القرن الثالث (وثانيهما) أبو الحسين محمد المذكور الراوي لكتاب الأول عن حفيده من أهل القرن الخامس، وهناك رجل ثالث من العبيدليين لم يعهد له هذا اللقب، وهو السيد أحمد بن محمد بن المهنا بن علي بن المهنا الحسيني العبيدلي صاحب التذكرة في الأنساب المشجرة، وألحق بآخره نسب الصفويين السيد عز الدين إسحاق بن إبراهيم بن إسحاق الحسني الحسيني الطباطبائي الشيرازي العبيدلي وهو معاصر للعلامة الحلي، وأما (أخبار الزينبات) فذكره ابن الأعرج الحسيني الواسطي النسابة في الثبت المصان وأبو يعقوب الأزموري الأمغاري في أقنوم الآثار وغيرهما (انتهى منقولاً من خط العلامة المتتبع الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي).

وسكينة فدخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة فاستقبلها (الوالي مسلمة) ابن مخلد الأنصاري) في جماعة معه فأنزلها داره بالحمراء فأقامت به أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً وتوفيت عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة اثنتين وستين هجرية ودفنت بمخدعها في دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى[1] حيث بساتين عبدالله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، انتهى نص العبيدلي.

ونقل الموافقة له في الدفن الشريف ناشر كتاب الزينبات عن ابن عساكر الدمشقي في تاريخه الكبير، والمؤرخ ابن طولون الدمشقي في الرسالة الزينبية، ووجدنا الموافقة له أيضاً في كتاب لواقح الأنوار للشعراني ص ٢٣ ج ١، وفي كتاب إسعاف الراغبين للشيخ محمد صبان ص ١٩٦ بهامش نور الأبصار، وفي كتاب نور الأبصار للشبلنجي ص ١٦٦، وفي الإتحاف للشبراوي ص ٩٣، وفي مشارق الأنوار للشيخ حسن العدوي (ص ١٠٠) نقلاً عن الشعراني في الأنوار القدسية والمنن وعن العلامة المناوي في طبقاته، وعن جلال الدين السيوطي في رسالته الزينبية، وعن العلامة الأجهوري في رسالته على مسلسل عاشوراء.

قال مؤلف كتاب السيدة زينب ص ٦٠، ثم بعد مرور عام على وفاتها، وفي نفس اليوم الذي توفيت فيه اجتمع أهل مصر قاطبة وفيهم الفقهاء والقراء وغير ذلك وأقاموا لها موسماً عظيماً برسم الذكرى على ما جرت به العادة ومن ذلك الحين لم ينقطع هذا الموسم إلى وقتنا هذا من يوم وفاتها إلى الآن وإلى ما شاء الله، وهذا الموسم المذكور هو

---

(١) الحمراء القصوى هي إحدى الحمراوات الثلاث (الحمراء الدنيا) خطة بلي بن عمر بن الحاف بن قضاعة، (والحمراء الوسطى) خطة بني نبه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل (والحمراء القصوى) وهي خطة بني الأزرق وبني روبيل وهم من الروم، وهي من درب معاني إلى القناطر الظاهرية يعني قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الحمراوات الثلاث جل عمارة مصر.

المعبر عنه بالمولد الزينبي الذي يبتدىء من أول شهر رجب من كل سنة وينتهي ليلة الختام وتحيا هذه الليالي بتلاوة آي القرآن الحكيم والأذكار الشرعية ويكون لذلك مهرجان عظيم وتفد الناس من كل فج عميق إلى زيارة ضريحها الشريف، وكذلك تقصدها الناس بالزيارة بكثرة لا سيما في يوم الأحد وهي عادة قديمة ورثها الخلف عن السلف، قال: والأصل في ذلك أن أفضل ما يزار فيه الولي من الأيام هو اليوم الذي توفي فيه بل قالوا لا يزار إلا في هذا اليوم إن علم ذلك وإلا ففي اليوم المجمع عليه جرياً على العادة والسيدة رضي الله عنها وأرضاها لا يقصدها الزائرون بكثرة إلا في هذا اليوم اقتداء بما تواتر عن أسلافهم وكان يزورها كافور الاخشيدي في ذلك اليوم كما كان يزور السيدة نفيسة بنت سيدي الحسن في يوم الخميس وكذلك كان يفعل أحمد بن طولون، وكان الظافر بنصر الله الفاطمي لا يزورها إلا في نفس هذا اليوم وإذا أتى إلى مقامها الشريف يأتي حاسر الرأس مترجلاً ويتصدق عند قبرها وينذر لها النذور وغير ذلك واقتفى أثر هؤلاء من جاء بعدهم من الملوك والسلاطين والأمراء، وكان الظاهر جقمق أحد ملوك مصر في القرن الثامن الهجري يوقد له في هذا اليوم الشموع وتنار أرجاء المشهد بالقناديل الملونة، ولازم زيارتها في هذا اليوم كثير من العلماء والأولياء وأهل الفضل ولا زال ذلك جارياً إلى الآن.

المشهد الزينبي في مصر

يتحدث في وصف هذا المشهد الرحالة أبو عبدالله محمد الكوهيني الفاسي الأندلسي وقد دخل القاهرة في ١٤ محرم سنة ٣٦٩ والخليفة يومئذٍ أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي فزار جملة من المشاهد من بينها هذا المشهد، قال: دخلنا مشهد زينب بنت علي فوجدناه داخل دار كبيرة وهو في طرفها البحري يشرف على الخليج فنزلنا إليه بدرج وعاينا الضريح فوجدنا عليه دربوزاً قيل لنا إنه من القماري، فاستبعدنا ذلك لكن شممنا منه رائحة طيبة ورأينا بأعلى الضريح قبة بناؤها من الجص ورأينا في صدر الحجرة ثلاثة محاريب أطولها الذي في الوسط وعلى ذلك كله نقوش غاية في الإتقان ويعلو باب الحجرة زليجة قرأنا فيها بعد البسملة ﴿**إن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ هذا ما أمر به عبدالله ووليه أبو تميم أمير المؤمنين الإمام العزيز بالله صلوات الله تعالى عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا المشهد على مقام السيدة الطاهرة بنت الزهراء البتول زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليها وعلى آبائها الطاهرين وأبنائها المكرمين.

وفي القرن السادس أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أجرى في هذا المشهد عمارة أمير مصر، ونقيب الأشراف الزينبيين بها الشريف فخر الدين ثعلب الجعفري الزينبي صاحب البساتين التي

عرفت بمنشأة ابن ثعلب ومنشىء المدرسة الشريفية التي تعرف الآن بجامع العربي بالجودرية، وما برح هذا المشهد على هذه العمارة إلى أن كان في القرن العاشر الهجري فاهتم بعمارته وتشييده وجعل له مسجداً يتصل به الأمير علي باشا الوزير والي مصر من قبل السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم الفاتح، وكان ذلك في شهور سنة ٩٥٦ وفي سنة ١١٧٤ أعاد بنيانه وشيد أركانه الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدوغلي وأنشأ به ساقية وحوضاً للطهارة، وبنى أيضاً مقام الشيخ محمد العتريس، وفي سنة ١٢١٠ جددت المقصورة الشريفة من النحاس الأصفر وكتب فيه على بابها (يا سيدة زينب يا بنت فاطمة الزهراء مددك) سنة ١٢١٠، وفي سنة ١٢١٢ ظهر الصدع في حوائط المسجد وبنائه فندبت حكومة المماليك عثمان بك المرادي لتجديده وإنشائه فابتدأ بالبناء فيه وما لبث أن توقف العملة لدخول الفرنسيين القطر المصري فأكمله بعد ذلك يوسف باشا الوزير في شهور سنة ١٢١٦، وأرخ ذلك بأبيات خطت على لوح من الرخام ونصها:

نور بنت النبي زينب يعلو ... مسجداً فيه قبرها والمزار
قد بناه الوزير صدر المعالي ... يوسف وهو للعلي مختار
زاد اجلاله كما قلت أرخ ... (مسجد مشرق به أنوار)

قلت: هذا التاريخ كما تراه لا يوافق العدد المذكور لعله كان متقدماً على هذا الإكمال.

قال: ثم حالت دون تمام عمارته موانع فأكملها المغفور له محمد علي باشا الكبير جد الأسرة العلوية وأراد عباس باشا أيام حكومته أن يجدد هذا المسجد ويوسعه وشرع في ذلك ووضع الأساس بيده سنة ١٢٧٠، ولكنه عاجله الأجل فانقطع العمل فأتمه من بعده المرحوم سعيد باشا وأمر بتجديد الواجهة الغربية والبحرية ومقام العتريس والعيدروس،

وكان ذلك في سنة ١٢٧٦ وبعد تمام هذه العمارة كتب على لوح من الرخام تاريخها في أبيات ونصها:

فـي ظـل أيـام السعيـد محمـد رب الفخار مليك مصر الأفخم
من فائض الأوقاف أتحف زينباً عـون الـورى بنـت النبـي الأكـرم
من يأت ينوي للوضوء مؤرخاً (يسعـد فـإن وضـوءه مـن زمـزم)

وكتب على باب المقام هذا البيت:

يا زائريها قفوا بالباب وابتهلوا بنت الرسول لهذا القطر مصباح

وفي سنة ١٢٩٤ جدد الباب المقابل لباب القبة من المرمر المصري والاستانبولي على الهيئة الموجودة الآن بأمر الخديوي محمد توفيق باشا، وفي سنة ١٢٩٧ أمر بتجديد القبة والمسجد والمنارة فتم ذلك في شهور سنة ١٣٠٢ وكتب على أبواب القبة الشريفة:

بـاب الشفـاعـة عنـد قبـة زينـب يلقـــاه غـــاد للمقـــام ورائـــح
مـن يمـن تـوفيـق العـزيـز مؤرخ (نور على باب الشفاعة لائح)
قـف تـوسّـل ببـاب بنـت علـي بخضـــوع وســـل إلّـــه السمـــاء
تحـــظ بـــالعـــز والقبـــول وأرخ (باب أخت الحسين باب العلاء)

قلت: يوافق العدد باسقاط الهمزة من علاء:

رفعـوا لـزينـب بنـت طـه قبـة عليـــاء محكمـــة البنـــاء مشيـــده
نـور القبـول يقـول فـي تـاريخهـا (باب الرضا والعدل باب السيده)

قلت: وهذا التاريخ كما تراه ١٢٩٣ وهو ينقص واحداً عن تجديد الباب بأمر الخديوي محمد توفيق سنة ١٢٩٤، قال: وفي عصر هذا التاريخ نقشت القبة والمشهد بنقوش بديعة ألبستها ثوباً جديداً وأنيرت أرجاء المسجد والمشهد بالأنوار الكهربائية (انتهى).



أولادها

ولدت العقيلة زينب الكبرى لعبدالله بن جعفر الطيار (وكما في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧) علياً وعوناً الأكبر وعباساً وأم كلثوم، وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات جعفر الأكبر، وذكر السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١١٠ محمداً، أما العباس وجعفر ومحمد فلم نقف لهم على أثر ولا ذكرتهم النسابة من المعقبين.

وأما علي وهو المعروف (بالزينبي) ففيه الكثرة والعدد، وفي ذريته الذيل الطويل والسلالة الباقية، وهو كما في عمدة الطالب أحد أرحاء آل أبي طالب الثلاثة:

الأولى: بنو موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط عليه السلام.

الثانية: بنو الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

الثالثة: بنو جعفر السيد بن إبراهيم بن محمد بن علي الزينبي، وفي تاج العروس بمادة (زنب) والزينبون بطن من ولد علي الزينبي بن عبدالله الجواد بن جعفر الطيار، نسبة إلى أمه زينب بنت سيدنا علي رضي الله عنه، وأُمها فاطمة (رض) وولد علي هذا أحد أرحاء آل أبي طالب الثلاثة، أعقب من ابنه محمد والحسن وعيسى ويعقوب، وأبو الحسن

علي بن طلحة بن علي بن محمد الزينبي تولى الخطابة والنقابة بعد أبيه في زمن المستنجد وتوفي سنة ٥٦١.

وأما عون الأكبر فهو من شهداء الطف قتل في حملة آل أبي طالب وهو مدفون مع آل أبي طالب في الحفيرة مما يلي رجلي الحسين عليه السلام كما نص عليه الشيخ المفيد في الإرشاد والطبرسي في أعلام الورى.

وجاء في المزار الكبير للشيخ الجليل محمد بن المشهدي بسند هذا نصه: أخبرني الشريف الجليل العالم أبو الفتح محمد بن محمد الجعفري أدام الله عزه، قال: أخبرني الشيخ الفقيه عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي، وأخبرني عالياً الشيخ الفقيه أبو عبدالله الحسين بن هبة الله بن رطبة رضي الله عنه، قال: أخبرني شيخي المفيد أبو علي الحسن بن محمد الطوسي، عن الشيخ أبي جعفر محمد الطوسي، قال: حدثنا الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عياش المعادي رحمه الله قال: خرج من الناحية على يد الشيخ محمد بن غالب الأصبهاني حين وافاه أبي رحمه الله وكنت حدث السن فكنت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبدالله الحسين عليه السلام وزيارة الشهداء رضوان الله عليهم فخرج إلي منه: بسم الله الرحمن الرحيم إذا أردت زيارة الشهداء رضوان الله عليهم فقف عند رجلي علي بن الحسين عليه السلام فإن هناك حومة الشهداء وأوم وأشر إلى علي بن الحسين عليه السلام وقل: السلام عليك يا أول قتيل (وساق الزيارة إلى أن قال) السلام على عون بن عبدالله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، ومنازل الأقران الناصح للرحمن، التالي للمثان، لعن الله قاتله عبدالله بن قطبة النبهاني.

وقال السيد ابن طاوس في مصباح الزائر عند ذكر زيارة الشهداء في يوم عاشوراء:

فإذا أردت زيارة الشهداء رضوان الله عليهم فقف عند رجلي علي بن الحسين عليه السلام فاستقبل القبلة بوجهك فإن هناك حومة الشهداء وساق الزيارة بعين ما ذكره محمد بن المشهدي، ثم قال في زيارتهم أول يوم من رجب: امض وقف على ضريح علي بن الحسين عليه السلام مستقبل القبلة وقل السلام من الله (إلى أن قال) السلام على عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. من ها هنا لا يرتاب القارىء في أن عوناً مقبور مع الشهداء في الحائر المقدس فما ذهبت إليه المزاعم من أن مشهده هي القبلة الماثلة اليوم على يسار السابلة من كربلاء إلى المسيب غير صحيح.

نعم ذكر النسابة السيد جعفر ابن السيد محمد الأعرجي الكاظمي المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ في (بشت كوه) من قرى ايران في كتابه مناهل الضرب في أنساب العرب ما نصه: إن عون بن عبدالله بن جعفر بن مرعى بن علي بن الحسن البنفسج بن ادريس بن داود بن أحمد المسود ابن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام كان في الحائر المقدس الحسيني وكانت له ضيعة على ثلاثة فراسخ عن بلد كربلاء فخرج إليها وأدركه الموت فدفن في ضيعته، فكان له مزار مشهور وقبة عالية والناس يقصدونه بالنذور وقضاء الحاجات، ويظن الناس أنه قبر عون بن علي بن أبي طالب عليه السلام وبعض يزعم أنه قبر عون بن عبدالله بن جعفر الطيار، وكلاهما وهم لأنهما دفنا في حفيرة العلويين (انتهى).

أقول: إن السيد المؤلف وإن أصاب في حكمه بدفن عون بن عبدالله بن جعفر في حفيرة الهاشميين إلا أنه أخطأ في زعمه دفن عون بن علي في الحفيرة أيضاً لأنه لم يحضر يوم الطف على التحقيق وإن وقع في كلام بعض أرباب المقاتل لكنه من دون روية ودراية.

ويتحدث بعض المؤرخين أن المقتول في الطف عون الأصغر ابن عبدالله بن الطيار الذي أُمه الخوصاء وهو خطأ واضح لأنه قتل يوم حرة بني واقم كما صرح به أبو الفرج في المقاتل وغيره.

وأما أُم كلثوم ابنة زينب فهي التي زوجها الحسين بن علي عليه السلام من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر الطيار وانحلها (البغيبغات) كما نص عليه المبرد في الكامل (ج ٢ ص ١١٤) والسمهودي في تاريخ المدينة (ج ٢ ص ٢٦٣) وياقوت الحموي في معجم البلدان (ج ٢ ص ٢٤٨) وهي ثلاث عيون في ينبع (عين) يقال لها خيف ليلى (وثانية) خيف الأراك (وثالثة) خيف بسطاس وذكر ابن شهرآشوب في المناقب (ج ٢ ص ١٧١) أنه لما طلب معاوية بن أبي سفيان من مروان بن الحكم وهو واليه على المدينة أن يخطب ليزيد (أم كلثوم) هذه فقال أبوها عبدالله بن جعفر: إن أمرها ليس إلي إنما هو إلى سيدنا الحسين عليه السلام وهو خالها، فأخبر الحسين عليه السلام بذلك فقال: أستخير الله تعالى اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين عليه السلام وقال: إن أمير المؤمنين (يعني معاوية) أمرني بذلك وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ مع صلح ما بين هذين الحيين مع قضاء دينه، واعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ من لا كفؤ له وبوجهه يستسقى الغمام فرد خيراً يا أبا عبدالله، فقال الحسين عليه السلام: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه (إلى آخر كلامه (ع)) ثم قال يا مروان قد قلت فسمعنا.

أما قولك مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بناته ونسائه وأهل بيته وهو اثنتا عشرة

أُوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً.

وأما قولك مع قضاء دين أبيها فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديوننا.

وأما صلح ما بين هذين الحيين فإنا قوم عاديناكم في الله ولم نكن نصالحكم للدنيا فلعمري لقد أعيى النسب فكيف السبب.

وأما قولك والعجب كيف يستمهر يزيد فقد استمهر من هو خير من يزيد ومن أبي يزيد ومن جد يزيد.

وأما قولك إن يزيد كفؤ من لا كفؤ له فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً.

وأما قولك وجهه يستسقى به الغمام فإنما كان ذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما قولك من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا فإنما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال عليه السلام بعد كلام فاشهدوا جميعاً أني قد زوجت أُم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة (أو قال أرضي بالعقيق) وإن غلتها بالسنة ثمانية آلاف دينار ففيها لهما غنى إن شاء الله تعالى.

قال: فتغير وجه مروان وقال أغدراً يا بني هاشم تأبون إلا العداوة، فذكره الحسين عليه السلام خطبة الحسن عائشة وفعله، ثم قال: فأين موضع الغدر يا مروان، فقال مروان:

أردنا صهركم لنجد وداً ... قد أخلقه به حدث الزمان
فلما جئتكم فجبهتموني ... وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم:

أمـاط الله عنهـم كـل رجـس   وطهـرهـم بـذلـك فـي المثـانـي
فمـا لهـم سـواهـم مـن نظيـر   ولا كفـؤ هنـاك ولا مـدانـي
أتجعـل كـل جبـار عنيـد   إلـى الأخيـار مـن أهـل الجنـان

وفي كتاب بلاغات النساء تأليف أحمد بن أبي طاهر (ص ١٣٤) طبع مصر أن أُم كلثوم هذه ولدت للقاسم فاطمة تزوجها طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر، فولدت له رملة تزوجها هشام بن عبد الملك فلم تلد له، فقال لها هشام: أنت بغلة لا تلدين، قالت له رملة: يأبى كرمي أن يدنسه لؤمك.

مدحها ورثاؤها

من جلية الحقائق أن نظم القريض في أي أحد فيه اشادة بذكره وإقامة لأمره، فإن المأثرة مهما عظمت فقد تنسى ويخمل ذكرها بمرور الحقب والأعوام لكن الشعر الخالد الذي تسير به الركبان يؤبد ذلك الفضل البائد ويلفت الأنظار إلى جهته، وبما أن ذكرى أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم هي أساس الدين وجذم الاصلاح لما يتبعها من اعتناق تعاليمهم واقتفاء آثارهم تواتر الحث على سرد الشعر فيهم مدحاً ورثاءً ورتبت عليه المثوبات العظيمة في أحاديث أئمة الهدى عليهم السلام وعد ذلك من أفضل الطاعات، ففي عيون الأخبار لشيخنا الصدوق رحمه الله بالإسناد عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة.

وفيه عن علي بن سالم عن أبيه عن الصادق عليه السلام أنه قال: ما قال

فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس.

وفيه عن الحسن بن الجهم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلا بنى الله له مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل.

وفي رجال الكشي دخل الكميت الشاعر على أبي جعفر الباقر عليه السلام فأنشده (من لقلب متيم مستهام) القصيدة، فلما فرغ منها قال عليه السلام للكميت: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول فينا.

وفيه أن عبدالله بن الصلت كتب إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام يستأذن في أن يرثي أباه أبا الحسن عليه السلام فكتب إليه: اندبني واندب أبي.

وفيه أن أبا طالب القمي قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام بأبيات شعر وذكرت فيها أباه وسألته أن يأذن لي في أن أقول فيه فقطع الشعر وحبسه وكتب في صدر ما بقي من القرطاس: قد أحسنت جزاك الله خيراً.

وفي كامل الزيارة لابن قولويه عن الصادق عليه السلام في حديث طويل، وفيه: بلغني أن قوماً يأتون قبر الحسين عليه السلام من نواحي الكوفة، وناساً غيرهم ونساء يندبنه وذلك في النصف من شعبان فبين قارىء يقرأ، وقاص يقص ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم ويهددونهم ويقبحون ما يصنعون إلى غير ذلك مما جاء من الأخبار الكثيرة في مدحهم ورثائهم.

وبما أن زينب العقيلة سلام الله عليها من أولئك الأفراد الذين هم عمد الدين وأعضاد الشريعة وقد شاركت الحسين عليه السلام في نهضته المقدسة والذب عن شريعة جدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تبادر أفذاذ ممن يمتهم

بالولاء إلى تحري ذلك الأجر الجزيل بنظم مدائحها ومراثيها عليها السلام .

١ ـ حجة الإسلام آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله[1]:

وليت وجهي شطر قبلة الورى ... ومن بها تشرفت أُم القرى
قطب محيط عالم الوجود ... في قوسي النزول والصعود
ففي النزول كعبة الرزايا ... وفي الصعود قبلة البرايا
بل هي باب حطة الخطايا ... وموئل الهبات والعطايا
أم الكتاب في جوامع العلا ... أم المصاب في مجامع البلا
رضيعة الوحي شقيقة الهدى ... ربيبة الفضل حليفة الندى
ربة خدر القدس والطهارة ... في الصون والعفاف والخفارة
فإنها تمثل الكنز الخفي ... بالستر والحياء والتعفف
تمثل الغيب المصون ذاتها ... تعرب عن صفاته صفاتها
مليكة الدنيا عقيلة النسا ... عديلة الخامس من أهل الكسا
شريكة الشهيد في مصائبه ... كفيلة السجاد في نوائبه
بل هي ناموس رواق العظمة ... سيدة العقائل المعظمة
ما ورثته من نبي الرحمة ... جوامع العلم أصول الحكمة
سر أبيها في علو الهمة ... والصبر في الشدائد الملمة
ثباتها ينبىء عن ثباته ... كأن فيها كل مكرماته
لها من الصبر على المصائب ... ما جل أن يعد في العجائب

---

(١) ولقد نظم أيده الله أراجيز في النبي (ص) والأئمة الاثني عشر والزهراء (ع) وأبي طالب وحمزة وجعفر الطيار والعباس ابن أمير المؤمنين ومسلم بن عقيل وعلي الأكبر والقاسم بن الحسن السبط وعبدالله الرضيع والسيد الجليل السيد محمد بن الإمام الهادي (ع) المدفون في بلد. وسمي بـ الأنوار القدسية.

لهـا مـن الصبـر علـى المصـائـب ... مـا جـل أن يعـد فـي العجـائـب
بـل كـاد أن يلحـق بـالمعـاجـز ... لأنـه حـرفـة كـل عـاجـز
فـإنهـا سـلالـة الـولايـة ... ولايـة ليـس لهـا نهـايـة
بيـانهـا يفصـح عـن بيـانـه ... كـأنهـا تفـرغ عـن لسـانـه
نـاهيـك فيـه الخطـب المـأثـورة ... فـإنهـا كـالـدرر المنثـورة
بل هي لولا الحط عن مقامها ... كاللؤلؤ المنضود في نظامها
فـإنهـا وليـدة الفصـاحـة ... والـدهـا فـارس تلـك السـاحـة
ومـا أصـاب أمهـا مـن البـلا ... فهـو تـراثهـا بطـف كـربـلا
لكنهـا عظيمـة بلـواهـا ... من الخطـوب شـاهـدت أدهـاهـا
رأت هجوم الخيل بالنار على ... خبـائهـا أو محـور السبـع العلـى
واستلبـوا يـا ويلهـا قـرارهـا ... مـذ سلبـوا ازارهـا خمـارهـا
وسبيهـم ودايـع المختـار ... عـار علـى الإسـلام أي عـار
يكـاد أن يـذهـب بـالعقـول ... سبـي بنـات الـوحـي والتنـزيـل
ومـا رأت بـالطـف مـن أهـوالهـا ... جـل عـن الـوصـف بيـان حـالهـا
ومن يطيق وصف سوء حالها ... مـذ رأت السبـط علـى رمـالهـا
معفـر الخـد مضـرجـاً بـدم ... لهفي على جمال سلطان القدم
وحـولـه فتيـانـه علـى الثـرى ... كالشهب الزهر تحف القمرا
واهـاً علـى كـواكـب السعـود ... عقـد نظـام الغيـب والشهـود
كيـف هـوت وانتثـرت أشـلاؤهـا ... بـأي ذنـب سفكـت دمـاؤهـا
وشـاهـدت ريحـانـة الـرسـول ... تـدوسهـا حـوافـر الخيـول
فـأصبحـت خـزانـة الـلاهـوت ... حلبـة خيـل الجبـت والطـاغـوت
صدر تربى فوق صدر المصطفى ... ترضها الخيل على الدنيا العفا
تـرى العـوالـي مـركـز المعـالـي ... مـدرجـة لـذروة الكمـال
أو هـي عـرش وعليـه التـاج ... أو أنهـا البـراق والمعـراج

نـال مـن العـروج مـا تمنـى كقـاب قـوسيـن دنـا أو أدنـى
حتـى تجلـى قـائـلاً (إنـي أنـا) من سجر القناة في طور القنا
لســان حــالـه لسلطـان القـدم سعياً على الرأس إليك لا القدم
وسـوقهـا إلـى يـزيـد الطـاغيـة أشجـى فجيعـة وأدهـى داهيـة
ومـا رأتـه فـي دمشـق الشـام يـذهـب بـالعقـول والأحـلام
أمـامهـا رأس الإمـام الـزاكـي وخلفهـا النـوائـح البـواكـي
أو الكتــاب النــاطـق المبيـن حــف بــه الحنيـن والأنيـن
وأفظـع الكـل دخـول الطـاهـرة حاسرة على ابن هند العاهرة
ومــا لهـا ومجلـس الشــراب وهــي ابنـة السنـة والكتـاب
أتـوقـف الحـرة مـن آل العبـا بيـن يـدي طليقهـا واعجبـا
يشتمهــا طــاغيــة الالحــاد وهـي سـلالـة النبـي الهـادي
بـل سمعـت مـن ذلـك اللعيـن سـب أبيهـا وهـو أصـل الـديـن
أتنســب الطــاهـرة الصـديقـة بـالكـذب وهـي أصـدق الخليقـة
أصفـوة الـولـي نخبـة النبـي عــدوة الله فيــا للعجــب
واحــر قلبــاه لقلــب الحـره فمــا رأتــه لا أطيــق ذكــره
شلـت يـد مـدت بقـرع العـود إلـى ثنـايـا العـدل والتـوحيـد
تلـك الثنـايـا مـرشـف الـرسـول وملثــم الطــاهــرة البتــول
ومــا جنــاه بــاللســان أعظـم وكفــره المكنــون منــه يعلـم
وقـد أبـانـت كفـر ذاك الطـاغـي بــأحســن البيــان والبــلاغ
حنـت بقلـب مـوجـع محتـرق علـى أخيهـا فـأجـابهـا الشقـي
(يـا صيحـة تحمـد مـن صـوائـح مـا أهـون النـوح علـى النـوائـح)

٢ ـ العالم الفاضل شاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ محمد نصار:

هـاج وجـدي لـزينـب إذ عـراهـا فـادح فـي الطفـوف هـد قـواهـا

يوم أضحت رجالها غرضاً للنبل والسمر فيه هاج وغاها
ونعت بين نسوة ثاكلات تصدع الهضب من حنين بكاها
آه والهفتاه ماذا تقاسي من خطوب تربو على ما سواها
ولمن تسكب المدامع من عين جفا جفنها لذيذ كراها
ألنهب الخيام أم لعليل ناحل الجسم أم على قتلاها
أم لأجسامهم على كثب الغبر اء مخضوبة بفيض دماها
أم لرفع الرؤوس فوق عوالي السمر أم رض صدر حامي حماها
أم لأطفالها تقاسي سياق الموت أم عظم سيرها وسراها
أم لسير النساء بين الأعادي ثاكلات يندبن يا آل طاها
وهي ما بينهن تندب من قد ندبته الأملاك فوق سماها

وقال رحمه الله أيضاً من قصيدة له:

واتته زينب والمصاب يقودها لشجى له بين الضلوع دبيب
وغدت لما قد نالها تدعو به ولها بمحنى الضلوع وجيب
يا خير من هلت عليه مدامع حزناً ومن شقت عليه جيوب
فهوت عليه تضمه وتشمه والدمع مثل المرسلات يصوب
الله في كبد يمزقها الجوى حزناً وقلب بالمصاب يصوب
الله في أيتامنا الله في تلك النساء فما لهن رقيب
أأخي يا بحراً يسوغ لوارد منه الروى كيف اعتراه نضوب
أأرى الشراب وأنت مشبوب الحشا ظمأ وآلفه وأنت غريب
وأرى الثياب وأنت لا كفن ترى أم كيف ألبسها وأنت سليب
وأرى الخضاب إذاً لقيت منيتي عجلاً وجسمك بالدماء خضيب

٣ ـ العلامة الأستاذ الميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي:

قد عاد مصر للحفيظة مغربا فسنا ذكاها واضح لن يغربا

بمليكـة حسبـاً زكـت فيـه ولـم يعقـد عليـه غيـر صنـويهـا الحبـا
ومـن النبـوة فـي أسـرة وجههـا بلج كمثل الشمس يجلو الغيهبا
وتضـوع منهـا للخـلافـة عبقـة تطوى بنفحتها الصحاصح والربى
بجـلال أحمـد فـي مهابـة حيدر قـد أنجبـت أم الأئمـة زينبـا
فبمجمـع الشـرفيـن بضعـة فـاطـم حصلت على أكرومة عظمت نبا
وسرت مع الدنيا مكارمها كما يسري لها أرج الثناء مع الصبا
حشدت مناقبها جحافل فاغتدت مـن كـل منقبـة تحشـد مقنبـا
ولهـا بمنقطـع الفخـار منصـة كرمت بها حسباً وفاقت منصبا
وربيبـة الخـدر المقـدس زانهـا علـم حـوتـه حبـوة لا مكسبـا
وندى كمثل البحر دون نفاده الـ ـيـمّ الخضـم ولجـه ان ينضبـا
ومـآثـر كثـر النجـوم عـدادهـا زهواً على كر الليالي ما خبا
ورجاحة في اللب تهزأ بالنهى تقفـو وقـاراً يستخـف الأخشبـا
وبـآيـة التطهيـر والقـربـى لهـا خطران قد خصا بأصحاب العبا
وعن الوصي بلاغة خصت بها أعيـت بـرونقهـا البليـغ الأخطبـا
ما استرسلت إلا وتحسب أنها تستل من غرر الخطابة مقضبا
أو أنهـا اليـزنـي فـي يـد بـاسـل أخلـى بـه ظهـراً وأوهـى منكبـا
أو أنهـا تقتـاد منهـا فيلقـاً وتسوق من زمر الحقائق موكبا
أو أن فـي غـاب الإمـامـة لبـوة لـزئيـرهـا عنـت الـوجـوه تهيبـا
أو أنها البحر الخضم تلاطمت أمـواجـه علمـاً حجـى بـأسـاً إبـا
أو أن من غضب الإله صواعقاً لم تلف عنها آل حرب مهربا
أو أن حيـدرة علـى صهـواتهـا يفنـي كـراديـس الضـلال ثبـا ثبـا
أو أنـه ضمتـه ذروة منبـر فـأنـار نهجـاً للشـريعـة الحبـا
أو أن في اللئوا عقيلة هاشم قد فرقت شمل العمى أيدي سبا
وبجأش ذي لبد وقلب أخي حجى أولت صروف الدهر ثغراً أشنبا

وتشاطرت هي والحسين بدعوة   حتم القضاء عليهما أن يندبا

هـذا بمشتبـك النصـول وهـذه   في حيث معترك المكاره في السبا

بـدم الشهـادة إذ أريـق ومـدمـع   أذرى مـذار القلـب دمعـاً صيبـا

نهضا بـأعباء الهـدى ما بيـن منحطـم الـوشيـج وبيـن محتـرق الخبـا

مضيا ولابن المصطفى زج القنا   عن باحة التذكير أصبح محتبى

وتلا الكتاب بموقف راموا به   اطفـاء نـور الله لكـن قـد أبـى

ولـزينـب شهـد الحـزوم بمثلـه   إذ يممـت قفـراً وأمـت سبسبـا

فبصـدرهـا ثقـل الإمـامـة مـودع   وبنطقهـا زهـت الهـدايـة مـذهبـا

وعلى الأسارى من بنات محمد   من بأسها العلوي منصوب الخبا

وغـداة جلـق كـم لهـا مـن وقفـة   يـزور عنهـا الغـي مفلـول الشبـا

في حيث قد عقد الزعانف من بني صخـر ورهطهـم لفيفـاً مـرهبـا

فـرمتهـم مـن لفظهـا بقـوارع   قـد أوقعـت بهـم البـلا المكـربـا

فكـان مـن جمـل الكـلام بـوارقـاً   وكـان منهـا فـي المـرائـر منهبـا

هدأت لها الأنفاس قل بفريسة   قد انشبت فيها الضياغم مخلبا

ودهـوا بفـاقـرة تبلـد حُـوّلاً   ثبـت الجنـان لـدى الهـزايـز قلّبـا

من عظم ما اجترحوا هناك فناحب   أو حـائـر منـع الشجـا أن ينحبـا

وبعيـن جبـار السمـا عمـل لهـا   أمـلاً لنـوكـى آل حـرب خيبـا

إذ زعـزعـت سلطـانهـا بظـلامـة   لبنـي علـي جمـرهـا قـد ألهبـا

ورأت الـرجـس فـي نفثـاتهـا   إن الـدعـي عـن الصـراط تنكبـا

هـذا ولكـن الصـدور بمـا بهـا   حـرى وصـدع نـالهـا لـن يـرئبـا

وعيـون آل محمـد عبـرى لمـا   غمزوا لهم من قبل عوداً اصلبا

ونســاء آل أميــة محبــورة   وعقائل المختار ترسف في السبا

وإليكــم آل النبــي قصيــدة   امضى على الخصماء من حد الضبا

وعليكـم صلـى المهيمـن كلمـا   يشـؤ شـذى عليـاكـم نشـر الكبـا

وقال أيضاً:

لزينب والأسى يومان أضحت بكـل تلتقـي دهـراً كـؤودا
فيـوم المجتبـى والطشـت فيـه رأت منـه مقطعـةَ كبـودا
وفـي يوم الحسين غـداة ألفت بجلّـق بينـه ثغـراً وعـودا

٤ ـ للعلامة الشيخ قاسم محيي الدين النجفي رحمه الله:

قلبـي بسلمـى مـرتهـن وبحبهـا حلـف المحـن
ويكـاد مـن شـوق يطيـ ـر إذا لـه التـذكـار عـن
ولقـد وقفـت بـربعهـا أبكـي المسـاكـن والسكـن
وبقيـت وقفـاً للشجـو ن مفـارقـاً طعـم الـوسـن
أنـا لسـت ممـن هـاجنـي ذكـر المعـاهـد والـدمـن
بـل إنمـا أبكـي لـرزء طبـق الـدنيـا شجـن
رزء أذاب حشـاشتـي مهمـا لـه قلبـي فطـن
مثـل العقيلـة زينـب يحـدو بهـا حـادي الظعـن
سـاروا بهـا فـوق المطـي وبكتفهـا شـدوا الشطـن
وإذا بكـت عيـن لهـا فـي منكبيهـا السـوط حـن
تـرنـو بعينيهـا الجسـو م علـى البسيطـة تـرتهـن
رأت الحسيـن مجـدلاً مـا بينهـا دامـي البـدن
رضـت قـراه سـلاهـب عـدواً بغـارات تشـن
طحنـت قـراه أميـة بـرحـى عـداه بهـا طحـن
والجسـم منـه دريـة لسهـام عـابـدة الـوثـن
متلفعـاً بـدمـائـه بيـن الأسنـة مـرتهـن
عـريـان تنسـج فـي العـرا سـافـي الـريـاح لـه كفـن

ملقى على وجه الثرى أبكى الفرائض والسنن
دامي الوريد ملفعاً بالبيض رهناً للطعن
وغدت تعاتبه بصـ ـوت طبق الدنيا محن
أأخي كيف نساق أسـ ـرى في السهول وفي الحزن
أأخي غادرت العليل مصفداً بي ممتحن
مما يكابد من أُمية أظهر الشكوى وأن
في الأسر لا يفدى ولا بفكاكه أبداً يمن
قد غادروه مكبلاً لهفي له من ممتهن
أأخي غادرت الفؤا د عليك وقفاً للشجن
أأخي رأسك قد سروا فيه على رمح علن
يتلو الكتاب مرتلاً آياته بين الظعن
أأخي إن تخدري هتكته عابدة الوثن
أأخي قد شحذ العدو علي صارمه وسن
أأخي إن سحاب همي من نواك قد ارجحن
أأخي قد أرخصت قد راً لا يقوم به ثمن
أأخي بعدك قد رأت عيني مرنات المحن
أأخي قد نالت عدا ك أباك ذاك أبا الحسن
أأخي لا يقوى الفؤا د على الإقامة والظعن
أأخي تسمعني سباب أجلها فضلاً ومن
أأخي إن لم يأتني العباس يحميني فمن
وعلى يزيد أدخلت تبدي النياحة والحزن
دخلت على حال لها حتى العدو رثى وحن
موثوقة بالحبل أظـ ـهر من جفاها ما أجن
نثلت عليه سهامها لما لها أبدى الضغن

وانصاع يقرع مرشف الـ ـهادي النبي المؤتمن
والمسلمون بمنظر مما جناه به علن
والسيد السجاد ما بين العيال قد امتحن
راموا العزيزة عندهم يستخدمون بها السكن
علمت بذلك زينب نادته يا عبد الوثن
أقصر فلا تسطاع إلا بالخروج عن الشنن
فأجابها إني القدير عليه ما بي من وهن
عجباً لحلم الله كيف عن النواظر لم تُصن
آل النبي المصطفى آل الوصي أبي الحسن
وبرمحه زجر إذا حنت لها حقداً طعن
فالمتن مسود القنا والرأس مبيض الحزن

٥ ـ للفاضل الخطيب الشيخ قاسم ابن الشيخ محمد الملا الحلي:

تجنى علي الحب وهو محبب وأمرضني وهو الطبيب المجرب
وجرعني مر التجني بهجره وعذب والتعذيب في الحب يعذب
وكم لامني فيه العذول وإنني أهيم على عذل العذول واطرب
أدانيه بالشكوى فيعرض قسوة ويبعد عني كلما منه أقرب
أعامله بالصفح والذنب ذنبه بحيث يراني أنني أنا مذنب
كشفت له مني حجاب مودة ولم يبد لي إلا الجفا والتجنب
قلبت له ظهر المجن فلم يفد وإني فيه حوَّل الحب قلَّب
أطارحه عتباً ولا يرعوي له فعدت وقلبي من جوى العتب متعب
ويقسو معي مهما ألنت خطابه كأني وإياه يزيد وزينب
بنفسي ابنة الزهرا عقيلة حيدر وجل قراباتي وقل التقرب
لقد اشبهت فخراً أباها وأمها لقد أنجبت أم وأنجبها أب

يناط إلى بيت النبوة بيتها ... وأستاره بالنيرات تطنب
حصان بأسرار الغيوب عليمة ... من الله إلهاماً لها لا تكسب
فأين بنات العرب منها وإنها ... لأفصح ممن قد نماهن يعرب
فإن خطبت فالسيف دون لسانها ... وإن خاطبت فالسمهري المذرب
لقد ألبست كوفان عاراً ووصمة ... وكلهم جلباب خزي تجلببوا
وقد سكنت أجراس أنعامهم لها ... كما ارتدت الأنفاس إذ هي تخطب
ودان لها أهل الخطابة ناكسو ... رؤوس وإن لم يجد فيها المؤنب
ولكنها أبكت قلوبهم دماً ... بتقريعها واستاء كهل وأشيب
لخطبتها بالشام أكبر موقع ... بها ثغر أبناء الضلال مقطب
لقد ألبست فيها ابن ميسون خزية ... بها برد عار للقيامة يسحب
بها أشبهت آيات فرقان أحمد ... فإن أوجزت أغنت بما عنه تطنب
ولم يجر في الأوهام يوماً خيالها ... وما مثلها إلا المليك المحجب
ومن فوقها ستر النبوة مسبل ... عليه من النور الإلهي مضرب
لتربتها إن أم أعمى بصيرة ... تبصر حتى ما عن الرشد يعزب
بصبر أبيها المرتضى تاه ذو الحجى ... وفي صبرها الأمثال للحشر تضرب
وقد وكل الرحمن في حفظ قلبها ... ملائكة كيلا أسىً يتشعب
ومن حين عزت ما استذل إباءها ... فراعن لا دين لديهم ومذهب
ففي جدها المختار شرف مشرق ... وبالوالد الكرار قدس مغرب
حوت شرف الدارين بنت محمد ... ففيها إلى باري الورى نتقرب
فإن وجبت يوماً محبة مؤمن ... فحبي بنص الذكر في الله أوجب
وإن كان للقربى المودة أنزلت ... فما هي من خير النبيين أقرب
فيا بنت فخر الأنبياء وسيد ... على الأوصياء من ذا بهذا يكذب
ومن أمها الزهراء بنت محمد ... واخوانها السبطان كل مقرب
بجاهك عند الله نرجو شفاعة ... بدهر عصيب بالبلا يتوثب

وأن تشفعي فينا فأنت عزيزة لدى الله يسمو في الدعا لك منصب
وإني أرجو أن أزورك قاصداً فمنك ومن آبائك الغر أطلب
عليكم سلام الله ما دام ذكركم أفوه به بين الأنام وأخطب

٦ ـ الفاضل الأديب الطبيب الميرزا محمد الخليلي النجفي:

إذا نابك الدهر لا تعجب فليس على الدهر من معتب
ولا تغترر بابتساماته فبالناب يغدر والمخلب
وكن جلداً عند دهم الخطوب فمن يرتدي الصبر لم يغلب
وإن داهمتك صروف الزمان تذكر عقيلة آل النبي
تذكر مصائبها سلوة وحمر الدموع عليها اسكب
فكل النوائب تسلى لدا نوائب خير النسا زينب
رضيعة در العلى والإبا ربيبة بنت الهدى الطيب
حكت أمها وأباها وقد أنافت على أمها والأب
فكانت كتلك لدى النائبات وكانت كهذا متى تخطب
رأت خطب طه نبي الهدى بقلب بنار الأسى ملهب
وسقط البتولة بين الجدار والباب عصراً ولم ترقب
وغصب الوصي وسحب الولي إلى حيث لا يرتضيه الأبي
وشاهدت المجتبى قاذفاً حشاءه بسم له معطب
وناهيك أرزاؤها في الطفوف فمهما تحدثت لم تكذب
أتتها تحاط بتلك الليوث فمن أغلب الحمى أغلب
وباتت وأقمارها حرس يزول بها حالك الغيهب
ليوث الكريهة من هاشم نجيب تناسل عن أنجب
ولكنها أصبحت لا ترى حمى بعد أنجمها الغيب
يباح حماها ولا من مجير وإن فزعت في الفلا تسلب

يسار بها فوق عجف النياق ... فمن سبسب ليدي سبسب
ترى رهطها صرعاً في الثرى ... ضحايا الحفاظ ولم تندب
ورأس الحسين وباقي الرؤوس ... تسير مقدمة الموكب
ولم تدر من فزع النائبات ... تصب كهطل الحيا الصيب
أتلحظ آسرها زاجراً ... أم الطفل مهما بكى يضرب
أم القيد أثقل زين العباد ... أم السوط يلوى على المنكب
أم السير أضعف ذات الخدور ... بوخد المطي الهزل المتعب
أم الشتم تسمعه جهرة ... يكور من شامت مطرب
رزايا يحار لديها الصبور ... احتمالاً ومنها يشيب الصبي
وقد قابلتها بكظم الوصي ... وصبر البتول وحلم النبي
إلى أن قضت وهي حلف الأسى ... بصبر مدى الدهر لم ينضب
فيا قلب ذب بعدها حسرة ... ويا عين فيضي لها واسكبي

٧ ـ الخطيب الأديب الشيخ كاظم ابن الشيخ سلمان نوح الكاظمي:

في السفح ظبي باغم وربرب ... في السفح قناص هناك يرقب
كم شرك أخفى خلال رمله ... قل لهما قولاً فأين المهرب
عليكما عزت نجاة إذ غدا ... مصعداً يعقبه التصوب
يا مرحباً بظبية وربرب ... من بكما ضاق الفضاء الأرحب
لو زرتما ربعي لأودى بكما ... عني همي والجوى والكرب
عوجا لربعي فالفخاخ نصبت ... لتأمنا وفي الفخاخ العطب
يا ظبية البان ويا ربربها ... إليكما قد جد منه الطلب
إني أراه تعباً لا تخشيا ... منه فقد أضر فيه التعب
فيمّما ربعي وفي فنائه ... قد زال خوف عنهما والريب
باتا ضجيعين سميري حلم ... والرقباء عنهما لغيب

والورق في الأغصان باتت صدحاً تسمعنا هديرها فنطرب
والأفق صاح والنسيم منعش والطير سجاع وربعي معشب
واخصب الوادي حيال ربعنا تالله ما حاكه ربع مخصب
فلم يفقه غير ربع فخم بناؤه قد ملكته زينب
بنت علي المرتضى وأمها فاطمة من مثل حيدر أب
وجدها محمد النبي من به نزار شرفت ويعرب
ما النسب الوضاح إلاّ نسب لزينب ذاك الشريف النسب
بنت حجاب وعفاف زينب يفخر فيها الصون والتحجب
أعبد أهل عصرها بعصرها لربها أخطبهم لو تخطب
تقية عالمة فقيهة من ربها أخبتهم وأقرب
من أنجبتها فاطم فتلك من إن عدت النساء فهي أنجب
من أهل بيت أشرف الخلق هم أنسابهم قد شرفت والحسب
عم أبيها حمزة أعمامها طالب جعفر عقيل المنجب
وخالها القاسم بن أحمد خالتها أخت البتول زينب
وجدها عبد مناف كافل الـ ـنبي من كان عليه يحدب
وكم على ظهر النبي صاعداً صنو لها إذ يرتقي ويركب
ذاك حسين صنوها وسيد الـ ـشباب والشيوخ وهو أشيب
سيدة النساء كانت زينب بعصرها والمرتضى لها أب
سيف أبيها حصد الكفر وما منه ابن ود قد نجا ومرحب
وكم به فل جموعاً حاربت محمداً عن الهدى قد نكبوا
قد نكبوا وجرعوها غصصاً تصدع القلب ويوهى المنكب
صابرة عند نزول حادث وقارع بالطف وهو مكرب
من جدها من السماء أنزلت عليه بالوحي ومنها الكتب
من جدها على البراق للسما حتى دنا من ربه المقرب

وعنـد سـدرة تسمـى المنتهـى　　عـرا لجبـريـل هنـاك الـرهـب
وقـد عـرا محمـداً لمـا أتـى الـ　　ـنـداء يـا طـاهـرهـم والطيـب
أنـت حبيبـي والـوصـي حيـدر　　بلغهـم وقـل لهـم لا تغضبـوا
قـد ارتضـاه الله مـن بعـدي لكـم　　وزيـر حـق وهـو ليـث أغلـب
فجـاءهـم مبلغـاً وحيـاً أتـى　　لـه مـن الله ومنـه اضطـربـوا
وقـد أطـاعـوا أحمـداً وبعـده　　عـن الـوصـي والـوزيـر انقلبـوا
وقـد قضـت فـاطمـة بكـى لهـا　　علـي والأبنـا بكـت وزينـب
وقـد غـدت يتيمـة مـن أمهـا　　وفي الحشـا منهـا يشـب اللهـب
ولـم تـزل واجـدة مـن بعـدهـا　　وقـد أحـاطـت بحمـاهـا الكـرب
وقـد دهـاهـا حـادث مفـاجـىء　　قتـل أبيهـا وأبنـاهـا تنـدب
ثـم أصيبـت بعـده بحـادث الـ　　ـزكـي وهـو الحسـن المنتجـب
يـوم قضـى وشيـع النعـش إلـى　　قبـرالنبـي والعـدى تـألبـوا
وصـوبـوا سهـامهـم لنعشـه　　هـل علمـوا لنعـش مـن تصـوبـوا
شكت سهام حقدهم قلب الهدى　　بغيـاً وقـد أعمـاهـم التعصـب
والهـاشميـون أرادوا حـربهـم　　إذ الحسيـن قـام فيهـم يخطـب
يـا اخوتـي أبنـاء عمـي حـافظوا　　وصيـة الـزكـي وهـو الطيـب
عوجوا إلى البقيع في نعشكم　　بـه يضـم مجتبـانـا التـرب
وبعـدهـا حـادثـة الطـف غـدت　　لعظـم بلـواهـا لتنسـى النـوب
بهـا أصيبـت زينـب بقـارع　　لبعـض وقعـه تهـد الهضـب
كـم مـن شيـوخ وشبـاب قتلـوا　　عطشى ومن برد روىً لم يشربوا
واضـرمـوا نـارهـم فـي خيـم　　فـاخـرج العيـال منهـا اللهـب
وزينـب حـائـرة مـرعـوبـة　　والأدنيـا خيـامهـم قـد نهبـوا
وكـم رضيـع ذبحـوا ونسـوة　　قد ضربوا وبعد ضرب سلبوا
ثـم أنيخـت للـرحيـل نيبهـم　　وقيـل للنسـوة هيـا فـاركبـوا

أخـذن قسـراً والسيـاط تلتـوي   يقـد فيهـا مهمـه وسبسـب
للشـام يهـديـن وهـن حسـر   لا بـرقـع وجـوهـهـن يحجـب
صلـى عليـك الله يـا سيـدتـي   ما طلعت شمس وهلت سحب

٨ ـ الفاضل الخطيب السيد حسن ابن السيد عباس البغدادي:

يا قلب زينب ما لاقيت من محن   فيك الرزايا وكل الصبر قد جمعا
لو كان ما فيك من صبر ومن محن   في قلب أقوى جبال الأرض لانصدعا
يكفيك صبراً قلوب الناس كلهم   تفطـرت للـذي لاقيتـه جـزعـا

٩ ـ للمؤلف عفي عنه:

مـا جـف دمـع المستهـام المغـرم   بعد الوقوف ضحى بتلك الأرسم
دار عفـت آثـارهـا وقضـت علـى   اطـلالهـا أيـدي القضـاء المبـرم
غابت محاسنها غياب شموسها   وبدورها غربت غروب الأنجم
يـا أرسمـاً شبـت لهـن جوانحـي   نـاراً بجمـر فـؤادي المتضـرم
حيـاك وكـاف الـدمـوع أو الحيـا   من صوب غادية السحاب المرزم
لا زال ذكراك القديم بخاطري   بـاق يعللنـي وذكـرك فـي فمـي
واحـن مـن شـوقـي إليـك بمقلـة   تهمـي مـدامعهـا وقلـب تيـم
يا دهر كف سهام خطبك عن حشى   لـم يبـق فيهـا مـوضـع لـلأسهـم
فـي كـل يـوم للنـوائـب صـارم   يسطو على قلبي ويقطر من دمي
وأبيـت والأرزاء تنهـش مهجتـي   نهشـاً يهـون لـديـه نهـش الأرقـم
أوكـان ذنبـي أننـي متمسـك   بالعروة الوثقى التي لم تفصم
آل النبي المصطفى من مدحهم   وردي وفيهـم لا يـزال تـرنمـي
وإلى العقيلة زينب الكبرى ابنة الـ   ـكـرار حيـدر بـالـولايـة انتمـي
هي ربة القدر الرفيع ربيبة الـ   ـخدر المنيع وعصمة المستعصم
مـن فـي أبيهـا الله شـرف بيتـه   وبجـدهـا شـرف الحطيـم وزمـزم

من بيت نشأتها به نشأ الهدى وبـه الهـدايـة للصـراط الأقـوم
ضربت مضارب عزها فوق السها وسمـت فضـائلهـا سمـو المـرزم
فضل كشمس الأفق ضاء فلو يشا أعـداؤهـا كتمـانـه لـم يكتـم
كـانـت مهـابتهـا مهـابـة جـدهـا خيـر البـرية والـرسـول الأعظـم
كانت بلاغتها بلاغة حيدر الـ ـكـرار إن تخطـب وإن تتكلـم
قد شابهت خير النساء بهديها ووقـارهـا وتقـى وحسـن تكـرم
ومقيمـة الأسحـار فـي محـرابهـا تدعو وفي الليل البهيم المظلم
شهدت لها سور الكتاب بأنها من خير أنصار الكتاب المحكم
زهـدت بـدنيـاهـا وطيـب نعيمهـا طلبـاً لمـرضـاة الكـريـم المنعـم
وتجرعت رنق الحياة وكابدت من دهرها عيشاً مرير المطعم
فـأثـابهـا رب السمـاء كـرامـة فيهـا سـوى أمثـالهـا لـم يكـرم
فلهـا كمـا للشـافعيـن شفـاعـة يـوم الجـزاء بهـا نجـاة المجـرم
بلغت من المجد المؤثل موضعاً مـا كـان حتـى للبتـولـة مـريـم
كــلا ولا للطهــر حــوا أو لآ سية وليس لأخت موسى كلثم
هذي النساء الفضليات وفي العلا كـل أقـامـت فـي مقـام قيـم
فـاقـت بـه كـل النسـاء وربهـا في الخلد أكرمها عظيم المغنم
لكن زينب في علاها قد سمت شـرفـاً تـأخـر عنـه كـل مقـدم
فـي علمهـا وجـلالهـا وكمـالهـا والفضل والنسب الصريح الأفخم
مـن أرضعتهـا فـاطـم در العلـى من ثديها فعن العلى لم تفطم
عن أمها أخذت علوم المصطفى وعلـوم والـدهـا الـوصـي الأكـرم
حتى بهـا بلغـت مقـامـاً فيـه لـم تحتــج لتعليــم ولا لمعلــم
شهـد الإمـام لهـا بـذاك وأنهـا بعـد الإمـام لهـا مقـام الأعلـم
ولهـا بيـوم الغـاضـرية مـوقـف أنسى الزمان ثبات كل غشمشم
حملت خطوباً لو تحمل بعضها لانهـار كـاهـل يـذبـل ويلملـم

ورأت مصاباً لو يلاقي شجوها الـ
ـعذب الفرات كساه طعم العلقم
في الرزء شاركت الحسين وبعده
بقيت تكافح كل خطب مؤلم
كانت لنسوته الثواكل سلوة
عظمى وللأيتام أرفق قيم
ومصابها في الأسر جدد كلما
كانت تقاسيه بعشر محرم
ودخول كوفان أباد فؤادها
لكن دخول الشام جاء أشأم
لم أنس خطبتها التي قلم القضا
في اللوح مثل بيانها لم يرقم
نزلت بها كالنار شب ضرامها
في السامعين من الفؤاد المضرم
جاءت بها علوية وقعت على
قلب ابن ميسون كوقع المخذم
أوداجه انتفخت بها فكأنما
فيها السيوف أصبنه في الغلصم
أشقيقة السبطين دونك مدحة
قس الفصاحة مثلها لم ينظم
تمتاز بالحق الصريح لو أنها
قيست بشعر البحتري ومسلم
يسلو المحب بها وتطعن في حشا
أعداء أهل البيت طعن اللهذم
بيمين اخلاصي إليك رفعتها
أرجو خلاصي من عذاب جهنم
وعليك صلى الله ما رفعت له
أيدي محل بالدماء ومحرم

وقال أيضاً:

أطلت على منازلهم سؤالي
متى أضحت مرابعها خوالي
مرابع كانت الأيام تزهو
بهن وتستضيء بها الليالي
وكانت تملأ الدنيا عبيراً
متى هبت بها ريح الشمال
مرابع كانت البيض المواضي
تحف بهن والسمر العوالي
مرابع كانت الآساد ذلاً
تدين لمن حوته من رجال
مرابع كانت الأضياف فيها
تثاب على قراها بالنوال
مرابع لم يكن إلا إليها
يليق من الورى شد الرحال
وقفت بهن والأضلاع تطوى
على جمر ودمعي بانهمال

ورحـت أسـائـل الأطـلال عنهـم ... وكيـف جـواب أطـلال بـوالـي

سقى صوب الحيا تلك الروابي ... وحيـا أرض هـاتيـك التـلال

ففيهـا لـم يـزل قلبـي مقيمـاً ... وجسمـي بيـن حـل وارتحـال

سلـوت مصـائـب الـدنيا ولكـن ... فـؤادي عـن هـواها غيـر سـالـي

ألا يـا دهـر قـد أوهنـت ركنـي ... وغيـرت النـوائـب منـك حـالـي

جنيـت علـي بـالأرزاء ظلمـاً ... فمـا لـك أيهـا الجـاني ومـالـي

وبعـد أحبتـي لـم يبـق منـي ... سوى جسم حكى عود الخلال

فليس يطيـب لـي عيش هنيء ... ولا ألتـذ بـالمـاء الـزلال

قضيـت بعلـة الأشجـان لـولا ... بمدحي زينب الكبرى اعتلالي

عقيلة أهل بيت الوحي بنت الـ ... ـوصي المرتضى مولى الموالي

شقيقـة سبطـي المختـار مـن قـد ... سمـت شـرقـاً علـى هـام الهـلال

حكـت خيـر الأنـام عـلاً وفخـراً ... وحيدر في الفصيح من المقال

وفـاطـم عفـة وتقـىً ومجـداً ... وأخـلاقـاً وفـي كـرم الخـلال

ربيبـة عصمـة طهـرت وطـابـت ... وفاقت في الصفات وفي الفعال

فكـانـت كـالأئمـة فـي هـداهـا ... وانقـاذ الأنـام مـن الضـلال

وكـان جهـادهـا بـالقـول أمضـى ... مـن البيـض الصـوارم والنصـال

وكانت في المصلى إذ تناجي ... وتـدعـو الله بـالـدمـع المـذال

مـلائكـة السمـاء علـى دعـاهـا ... تـؤمـن فـي خضـوع وابتهـال

روت عـن أمهـا الـزهـرا علـومـاً ... بهـا وصلـت إلـى حـد الكمـال

مقـامـاً لـم تكـن تحتـاج فيـه ... إلـى تعليـم علـم أو سـؤال

ونـالـت رتبـة فـي الفخـر عنهـا ... تـأخـرت الأواخـر والأوالـي

فلـولا أمهـا الـزهـراء سـادت ... نسـاء العـالميـن بـلا جـدال

لها تنمى المكارم حيث كانت ... وفيهـا ينتهـي شـرف الخصـال

بـأنـوار النبـوة قـد كسـاهـا ... وقـار الـوحـي هيبـة ذي الجـلال

وابهـــة الإمـــامـــة جلببتهـــا جـلابيـب الفضـائـل والمعـالـي
لهـا فـي هـامـة الجـوزاء بيـت رفيع الشأن سامي القدر عالي
بنـاه المصطفـى وحمـى حمـاه بـأنفسهـا الكـريمـة خيـر آل
محـــل مهبـــط الأمـــلاك فيـــه تنـــزه عـــن مثيـــل أو مثـــال
بـه اللاجي يلوذ من الـدواهي علـى مـا فيـه مـن بعـد المنال
وزاهـــدة لـــدار الخلـــد تـــاقـــت ولـــم تـــركـــن إلـــى دار الـــزوال
فعـافـت كلمـا ملكـت يـداهـا لـــوجـــه الله مـــن نشـــب ومـــال
وشـاركـت الحسيـن بكـل خطـب يهـد الـراسيـات مـن الجبـال
لأن بـذل الأولـى نصـروا حسيناً نفـوسهـم الكـريمـة فـي النـزال
وضحوا في سبيل السبط ما من رخيـص كـان عنـدهـم وغـالـي
فزينب في رزايا الطف كانت تـذوق المـوت حـالاً بعـد حـال
رأت أنصـــارهـــا وبنـــي أبيهـــا محلئـــة عـــن المـــاء الحـــلال
رأت أطفـال اخـوتهـا عطـاشـى كـؤوس الحتـف تسقـى بـالنبـال
رأت اخـوانهـا الأبـرار صـرعـى مجـزرة علـى وجـه الـرمـال
رأت تلـــك الـــوجـــوه معفـــرات مغيـــرة المحـــاســـن والجمـــال
رأت خيـل العـداة تـرض صـدراً لكـــافلهـــا بميـــدان القتـــال
رأت أبيـــــات آل الله نهبـــــاً وفيهـا النـار تلهـب بـاشتعـال
رأت خفـرات أحمـد حـائـرات حـواسـر قـد بـرزن مـن الحجـال
رأت تلـك الأيـامـى واليتـامـى تسيـر إلـى الشـام علـى الجمـال
رأت تلك الرؤوس يد الأعادي تطوف بها على الأسل الطوال
رأت زيـــن العبـــاد يئـــن شجـــواً مـــن الأغـــلال والـــداء العضـــال
رأت بيـد العـدى تلـك الأسـارى وهـــن مـــربقـــات بـــالحبـــال
وراحـــت للشـــآم ولا كفيـــل ســـواهـــا لليتـــامـــى والعيـــال
بكـــوفـــان رأت والشـــام مـــالا يمـر مـن المصـاب علـى خيـال

ولـم تعهـد لـه الأيـام شبهـاً ... ولـم يخطـر لـذي نظـر ببـال
أبنـت المـرتضـى سمعـاً لمـدح ... يفـوق بنظمـه نظـم اللئـالـي
إذا سـارت بـه الـركبـان حـدواً ... أذاع عبيـــره أرج الغـــوالـــي
إليـــك رفعتـــه ليكـــون فيـــه ... غـداً بـالعـروة الـوثقـى اتصـالـي
وأُحشـر فـي الأولـى والـوا عليـاً ... ولاذوا بـاللـوا تحـت الظـلال
مـآل عـــدوكـــم نـــاراً تلظـــى ... يكـون وجنـة المـأوى مـآلـي
أحـن لمـدحكـم يـا آل طـه ... حنيـن المستهـام إلـى الـوصـال

١٠ ـ أهدى إلينا شاعر العمارة الوحيد وبلبلها الغريد الفاضل الأديب الشيخ حسين الحاج وهج هذه القصيدة الغراء يمدح بها عقيلة الهاشميين زينب عليها السلام:

بنفسي من حوت أسمى المزايا ... ومـن للمكـرمـات غـدت خليلـه
ومـن يسمـو الثنـاء بهـا ويحلـو ... وأجـدر بـالنعـوت المستطيلـه
فـإن كثـرت مـدائحهـا وفـاضـت ... تعـد بشـأنهـا السـامـي قليـه
هي الحوراء زينب عن علاها ... لتقصـر كـل ذات يـد طـويلـه
سليلـة أحمـد مـولـى المـوالـي ... ألا نعمـت لأحمـد مـن سليلـه
فمهمـا تبلـغ الألبـاب علمـاً ... فلـن تحصـي مـواهبهـا الجليلـه
وكـم قـد جـاء بـرهـان جلـي ... بعصمتهـا وعفتهـا النبيلـه
وكـم قـال ابـن عبـاس فخـوراً ... عقيلتنـا ويـا نعـم العقيلـه
فكـانـت فـي البـرية كنـز طهـر ... ومصـدر كـل منقبـة جـزيلـه
إليهـا قـد تنـاهـى كـل فخـر ... وفضـل بعـد فـاطمـة البتـولـه
ولا عجـب إذا البـاري حبـاهـا ... صفـات فـي العقـائـل مستحيلـه
بهـا مـن أمهـا الـزهـرا سجـايـا ... وشيمـة حيـدر رمـز البطـولـه
إذا رب الفصـاحـة قـد نمـاهـا ... فقـد ورثـت فصـاحتـه وقيلـه

كفاها مفخراً مذ يوم ألقت ... على كوفان خطبتها المهوله
كأن لسانها إذ ذاك نصل ... شباه يفضح البيض الصقيله
به قد أخرست نطق الأعادي ... وردت منه أعينهم كليله
لقد أدلت بخطبتها معان ... بها قد مثلت عز القبيله
فأضحى الجمع مندهشاً مروعاً ... ولاقى كل ذي لب ذهوله
ومن نشأت بعز، مستحيل ... أمام الجمع وقفتها ذليله
بربك من كزينب في البرايا ... لوقع النائبات غدت حموله
فيا لله ما لاقت وقاست ... من الأشرار أرباب الرذيله
أتحمل فوق ظهر العجف قسراً ... وفتيتها على الرمضا جديله
فأبدت بعد يوم الطف حزماً ... وما من حرة أبدت مثيله
وحلماً لا يقاس بثقل رضوى ... محال أن يرى رضوى عديله
لقد وثق الحسين بها لكيما ... تقوم بحمل أعباء ثقيله
وقد بانت كفاءتها لديه ... وأعلن عن بني الدنيا رحيله
فناداها أزينب أنت بعدي ... لحفظ عوائلي كوني كفيله
فجل الفادحات وإن تناهت ... غدت في حزمها السامي ضئيله
صلاة الله تترى كل حين ... عليها ما تلا الشادي هديله

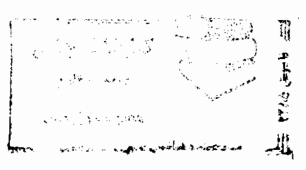
١١ ـ ولنختم هذا الكتاب بقصيدة الشيخ عبد الرحمن الأجهوري الذي نظمها متوسلاً بالسيدة الطاهرة زينب (ع) ملتجئاً بها من كرب شديد وقد خلصه الله تعالى من ذلك الكرب ببركتها. كما روى ذلك عنه الشيخ الشبلنجي في نور الأبصار وهي:

آل طه لكم علينا الولاء ... لا سواكم بما لكم آلاء
مدحكم في الكتاب جاء مبيناً ... أنبأت عنه ملة سمحاء
حبكم واجب على كل شخص ... حدثتنا بذلك الأنباء

إنني لست أستطيع امتداحاً لعلاكم وأنتم البلغاء
كيف مدحي يفي بعلياء من قد عجزت عن بلوغه الفصحاء
مدحكم إنما يريد بليغاً عجزت عند حده الشعراء
منكم بضعة الإمام عليٍّ سيف دين لمن به الاهتداء
خيرة الله أفضل الرسل طراً من له في يوم المعاد اللواء
زينب فضلها علينا عميم وحمانا من السقام شفاء
كعبة القاصدين كنز أمان وهي فينا اليتيمة العصماء
وهي بدر بلا خسوف وشمس دون كسف والبضعة الزهراء
وهي ذخري وملجأي وأماني ورجائي ونعم ذاك الرجاء
قد أنخت الخطوب عند حماها فعسى ينجلي بها الضراء
من كراماتها الشموس أضائت أين منها السها وأين السماء
من أتاها وصدره ضاق ذرعاً من عسير أو ضاق عنه الفضاء
جلت الخطب مسرعاً وجلته فانجلى عنه عسره والعناء
لا يضاهي آل النبي وصيف لا يوفي كمالهم أُدباء
نوروا الكون بعد كان ظلاماً إذ أضاءت ذراهم الغراء
لهم الفضل من «ألست» فإني من سواهم يكون فيه استواء
إن «هل يستوي الذين» دليل ولتطهيرهم بذاك اكتفاء
لست أخشى الضياع والحب عندي طبّ قلبي ومقلتي وجلاء
بيتكم مهبط لجبريل وحياً فيه تغدو الملايك الكرماء
من أتى حيكم وكان أسيراً لدواعيه زال عنه الشقاء
يا كرام الورى أغيثوا نزيلاً أجحفته الخطوب والأدواء

هذا آخر ما تيسر لنا ايراده في هذا الكتاب الوجيز مما وصلت إليه يد التتبع والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

فهرس الكتاب



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة ـ ملك الاعلمي ـ ص.ب ٧١٢٠،
الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ ـ تلفاكس : ٨٣٣٤٤٧ .